إمبراطورية آل فايد

الملف السري للفضائح

عبد الله كمال

من أحضان تجار السلاح.. إلى فراش الأميرات

الملف السري للفضائح

إمبراطورية آل فايد

عبد الله كمال

الفهرس

من أحضان تجار السلاح..

إلى فراش الأميرات

قبل أن تعرف هذا الرجل

الفرعون المزيف

عادة ما يقفز رواة قصة محمد الفايـد، المليـارديـر الإمبراطور، من سنوات شبابه الفقير إلى قمة مجده ومرحلة ازدهاره.. يتجاوزون السـنين ويـأكلون الأيـام وينسـون التفاصيل ويركبون طائرة التاريخ من محطة الأنفوشي إلـى هارودز مباشرة.. وتضيع بين هذه وتلك أوراق ملف سـري لا يعرف عنه الكثيرون شيئًا.. وبين المرحلتين تبقى دومـا مناطق مظلمة.. تتجول فيها أسئلة عمياء.. تجرها علامـات استفهام لا تبصر.. وألغاز عطشى لأن يرويها ماء الحقيقة.

إن هذا الرجل الذي وصف بأنه دجال، ووصف بأنه محتال، وقيل عنه أنه "فرعون مزيف" وأنه أسطورة، وأنـه كذاب، وأنه مرعب، وأنه عنيد، وأنه بشوش، وأنـه رجـل خير، وأنه ماكر، وأنه لا يقبل الهزيمة، وأنه مبتـز، وأنـه قوى، وأنه مغامر، وأنه مقامر، وأنه لا يلين، وأنه لا يتـرك ثأره.. إن هذا الرجل في قصـته أشـياء عديـدة ومختلفـة

ومتنوعة.. وإلا ما كانت قد أطلقت عليه كل هذه الأوصـاف المتناقضة. هذا الرجل الذي قيل أنه " ملياردير جاء من عشة فراخ"، وقيل أنه " كان بائع كوكا كولا"، وأنه " كان منـدوب مبيعات في شركة سينجر لماكينات الخياطة"، وأنه " بلا أصل وبلا جذور" وأنه " يختلق قصصا غير حقيقية حول جـذوره ليوهم الناس بأنه جاء من عائلة عريقـة"، وأنـه " لا يلعـب بأمواله وإنما هو ستار لغيره"، وأنه " مجرد سمسار ووسـيط لآخرين " .. هذا الرجل هو الذي تحدث العالم عنه أكثر من مرة، كانت آخرها حين راح ابنه الأكبر عماد ضحية حادث غامض، لا يخلو من المؤامرة، حين قتل في سيارة مرسيدس فاخرة، كانت تجلس بها إلى جواره الأميرة الأسطورة ديانـا سبنسر أم ملك انجلترا القادم.

هذا الرجل الذي دارت كل معاركه فـي بريطانيـا وفرنسا والإمارات، وكانت كل أحلامه خارج حدود وطنـه، ولم يزر مصر منذ سنوات.. هو نفسه الذي أبى أن يدفن ابنه المولود في الإسكندرية في تراب وطنه قائلاً: " لأنني أريـده بجانبي" ولم تعرف ثروته أي طريق إلى بلـده، ولـو فـي مشروع كبير واحد، رغم أن أملاكه تتوزع بـين الولايـات

المتحدة ولندن ودبي وباريس وسويسرا والريفيرا واسـكتلندا وعشرات الأماكن الأخرى في العالم.. واكتفى فقط بأن يتبرع بمجموعة من البطاطين وعـدد مـن كراسـي المقعـدين، وماكينات غسيل الكُلى.. رغم أنـه كـان يتبـرع بملايـين الدولارات للأجانب في الخارج.

هذا الرجل، بكل هذه الصفات، وبكل هذه التفاصـيل يمثل دراما معقدة.. دراما واقعية – لكن بها الكثير من الخيال – دراما مليئة بالإثـارة، ومعبـأة بالفضـائح، ومخزونـة بالمؤمرات، ومدهونة بقصص النساء، ومحشـوة بالألغـاز، بنيت على أساس غامض، وشيدت فوق أرض غير معروفة، وارتفعت فجأة، ونقلت صاحبها إلى قمة الثـراء والشـهرة، وبعد أن خاض رحلة طويلة، ومعقدة من خانة الصـفر فـي أقصى اليسار.. حيث اللاقيمة.. إلى خانة الصفر في أقصـى اليمين.. حيث المليارات..

هذا الرجل.. أهم عقدة في قصته الدرامية هي أنـه ومن حوله يريدنا أن نعرفه كما هو الآن، يريدنا أن ننسـى، أن نتجاهل البداية، أن نمحو من ذاكرة التـاريخ أي شـيء يمكن أن يعطي انطباعا عن فقره الأول.. ورغـم أن فقـر

الأغنياء في بداية حياتهم ليس عيبا.. ورغم أننا فـي مصـر نقبل أن يبدأ الناس من الصفر ثم يتحولون وينمون ويزهرون حتى يصلوا إلى القمة، إلا أنه يعيش في مجتمع لا يقبل هـذا التحول، ويرفض أن ينضم إلـى نـادي الأرسـتقراطية أي شخص إلا بعد أن يجري له عملية فرز طويلـة وصـعبة.. وكل حلم محمد الفايد هو أن يقبله هذا النادي.

والقبول في هذا النادي معنوي، إذ لا يشترط النـادي أن يوقع العضو الجديد على استمارات الالتحـاق بعضـويته وإنما له شروط خاصة، تستوجب أن يكون شخصا بريطانيا، وليس أجنبيا، وإذا ما تغاضوا عن جنسيته الأولـى فـإنهم لا يمكن أن يتغاضوا عن شرط الأصل العريـق.. وقـد فشـل محمد الفايد في أن يقنعهم بنفسه، وظلوا يكرهونه، وحتى بعد أن أصبح مالك هاردوز، وأعلن ابنه عن حبه للأميرة ديانـا قبل قتله بثلاثة أسابيع، ظلوا يتذكرون أنـه كـان ذات يـوم موردا الخضروات للقصور الملكية، وأعلنـوا رفضـهم لأن يكون صاحب محلات البقالة السابق هو الرجل الـذي يـدق على باب قلعة الملكية في بريطانيا طالبا الدخول.

ولقد دق الفايد أبوابا كثيرة من قبلها، كلها فتحت له، بعضها كان سهلاً، وبعضها كان صعبا، ولكنها فتحـت.. إلا هذا الباب البريطاني.. ظل موصدا.. مرة بضبة الكراهيـة.. ومرة بمفتاح العنصرية.. ومرات بحروب المنافسين..

ولكنه كان يصر على أن يدق الباب من جديد.. وكان إصراره يقابل دائما بمزيد من الرفض.. وقـد بلـغ هـذا الرفض ذروته حين ضاع ابنه ضـحية واحـدة مـن هـذه المرات.. وكان هذا تصاعدا دراميا مثيرا في القصة.

وقد بدأ هذا التصاعد في السنوات الـثلاث عشـرة الأخيرة، حين قرر محمد الفايد وإخوته أن يتحول من مجرد مليونير عادي، إلى ملياردير من النوع الثقيل.. وأن يضـمن لنفسه ترتيبا مميزا في قائمة أثرياء بريطانيا.. ومع تصـاعد الحلم.. تصاعدت الضربات.. وتنوعت.. وتكررت.

فبعد أن تم تجاوز معركة الأصل والفصل وجـذور العائلة، حاول الفايد أن يغسل نفسه وأن يتطهر، وأن يصـنع لنفسه صورة مميزة.. لكنهم أخرجوا له من ملفات التـاريخ سيدة عرفها منذ زمن طويل.. قالت أنها أحبته وأقامت معـه علاقة من نوع خاص.. فقال بكل هدوء: " إنني لا أذكر مـا

الذي فعلته منذ ٢٣ عاما" وحين. فاز بمحلات " الهـارودز" وقال " إنني لن أخرج منها أنا وأسرتي ولو بعد ألـف عـام" أخرجوا له من ملفات التاريخ القريب سيدة اسمها " فرنشيسكا بولارد" عمرها ٤١ عاما زعمت أنه وظفها وأنه طلب منهـا تنظيم مظاهرات وتوزيع منشورات تتهم فيها أعضاء لجنـة في وزارة التجارة والصناعة تتابع صـفقة هـارودز بـأنهم يتلقون رشاوى.. فرد الفايد بكل هدوء من جديد وقال: " إنني قابلت هذه السيدة لأنها طلبت مساعدة خيرية كي تستخدمها في رفع قضية ضد عمها حول ميـراث جـدها فـي بنـك إسرائيلي"

والواقع أن هذه الصورة التي أرادوا أن يقدموها عن محمد الفايد كان له هو دور بارز فيها. إذ اعترف ذات مرت بأنه قدم رشاوى لأعضاء مجلس العموم.. وبأنه استضـاف وزراء على حسابه في فندق "ريتس" في باريس.. وفضح كل الناس.. فما كان من جون ميجور إلا أن أطلق ضده قنابـل اتهامات بالابتزاز. نجا منها الفايد في النهاية ولم يجد المدعي العام البريطاني في اتهامات جون ميجور ما يجعلـه يحـاكم محمد الفايد..

ورغم الضربات المتوالية إلا أن الفايد استقر تمامـا. استقر إلى درجة أنه رفع قيمة محلاته إلى ثلاثـة أضـعاف الثمن الذي اشتراها به استقر إلى درجة أنه كان يدفع أموالاً للممثل بيرس بروسنان الذي يلعب أدوار جيمس بونـد كـي يفتتح موسم التخفيضات في هارودز.. لقد دفع له ٥٠ ألـف جنيه استرليني.. ولقد استقر حتى أنه افتتح فرعا لمحلاته في مطار مانشستر.. واستقر إلى درجة أنه كانت له أفرع فـي مطارات هيثرو وفيينا وهامبورج وفرانكفورت وسـنغافورة وهونج كونج وثلاثون فرعا أخرى في اليابان.. استقر إلـى درجة أنه امتلك نادي فولهام لكرة القدم. استقر إلى درجة أنه صار يلتقي بالملكة إليزابيث كثيرا خاصة في سباقات الخيـل في مضمار يملكه.. استقر إلى درجة أنه اشترى منزل دوق وندسور في فرنسا.. ذلك الملك الذي تنـازل عـن عـرش بريطانيا كي يتزوج مطلقة أمريكية.. ثم دعا الفايد الممثلـة جوان كولينز لزيارة هذا المكان معه. استقر إلى درجة أنـه نظم في الرواق المصري داخل محلات هارودز حفلاً خيريا على شرف الطبيب المرموق مجدي يعقوب وكـان ضـيف الشرف هو الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني. استقر إلـى

درجة أنه دعا الأميرة ديانا لرحلة بحرية على يخته الخـاص وفي منزل مميز مجاور لمنزله في شاطئ الريفيرا. اسـتقر إلى درجة أنه وبعد أن انتهت معركة هاردوز بدأ مصـالحة مع عدوه اللدود تيني رولاند عبر وسـيط بريطـاني إلا أن رولاند حين ذهب إلى مكان عقد اتفاق السلام لم يجد ممثـل الفايد الذي كان من المفروض أن يحضر.

لقد هدأ الغبار، ونسـي الجميـع معركـة الأصـل والفصل، لكن كل الناس تذكروا هذا حين مات ابنـه عمـاد، ورغم أن الأب قال ذات يوم في حديث مع طارق حبيـب أن ابنه الأصغر من زوجته الفنلندية، والذي يجيد اللغة العربيـة هو صورة مكررة منه وحلمه في أن يكون على طريقه، إلا أن الأب كان مكلوما على ابنه القتيل مع ديانا. وقد كان هـذا شعورا طبيعيا ومبررا.. ولكن الذي لفت نظري فـي هـذه المناسبة هو أسماء العائلات التي كتبتها أسرة الفايد في نعـي عماد في جريدة الأهرام بعد وفاته.. ففي هذا النعي اعتراف بأصول العائلة وانتماءاتها... فهي كما جاء في النعي قريبـة ونسيبة عائلات الفايد ومحمد إبراهيم وسالم وسلطان وصادف والبحر وأبو الفضل وعامر. وكلها عائلات ليست ذات تاريخ

كبير... فهل كان البريطانيون على حق؟ ... وهل كان الفايد فرعونًا مزيفًا؟

إن هذا السؤال هو أحد محـاور الكتـاب، وتـدور صفحات كثيرة حوله.. لكن الكتاب أيضـا حـاول – قـدر الممكن- أن يقلب في كل أوراق ملف الفايد.. مـن عائلتـه الأولى إلى صهره الذي دفعه على طريق المـال.. عـدنان خاشقجي الذي تزوج محمد من أخته سميرة.. ومن صـديقه سلطان بروناي حسن بلقيه الذي كان سببا في بعض نموه إلى غريمه ومنافسه أشرف مروان الذي وضـع العراقيـل فـي طريقه.. ومن طرق وأساليب تكون هذه الثروة الهائلة إلـى الأهداف التي وظفت لها.. ومن المعـارك الكبيـرة حاميـة الوطيس إلى عمليات التجميل التي أجراها محمد الفايد كـي يحسن من ملامح صورته والانطباع الذهني عنه.

إنه بالإجمال، كتاب يرصد كيف تكونت إمبراطورية الفايد، من الزواج إلـى المغـامرات والمعـارك واللعنـات والقضايا والملفات والتقارير والوثائق والتعليقات والمعارض والجمعيات والمليونيرات والملـوك والأمـراء والأميـرات والمحاكم والتبرعات والفضائح والأسرار.. وكل شيء أمكن

التوصل إليه. وهي أشياء كلها كان بها أبطال وكومبـارس. ودارت حول أسماء رنانة آخرها كانت الأميرة ديانا.. وقبلها كان الرئيس عبد الناصر والرئيس السادات والملـك فيصـل وعدنان خاشقجي وسميرة خاشقجي وأشـرف مـروان وآل مكتوم ومارجريت تاتشر وابنها مـارك والـرئيس الكـوبي وكمال الجنزوري ومصطفي أمين والملكة إليزابيث وابنهـا الأمير تشارلز وابنـه الأميـر ويليـام وأنـيس منصـور.. وعشرات غيرهم...

إنه كتاب أيضا عن العنصرية، وعن صناعة تاريخ شخص يريد أن ينسى.. وعن بلده الذي لم يستفد منه كثيـرا ولكنه بكى حين مات ابنه عماد.. وتذكر- هذا البلد- رغـم كل شيء أن هذا الإمبراطور المهاجر هو في النهاية رجـل مصري ولد وتربى في حارة ابن وكيع وعاش في الأنفوشي قبل أن يصبح مالكًا لمحلات هارودز.. أهرام لندن. وقبـل أن يطمع في مصاهرة العائلة المالكة البريطانية.

عبد الله كمال

أكتوبر١٩٩٧

١

الصهر اللدود

- أخي.. زوجني هذا الرجل!

" ولم تنجب منه، فطلقتـه، وحـين أنجب من أخـرى شـربت الخمـر وبلعت الحبـوب المنومـة فـانفجر مخها.. وماتت وجاء عماد ليحضـر جنازتها.. إنها أمه. "

أخذ محمد الفايد من هذا الرجل كل شيء يجـب أن يتعلمه في حياته.

أخذ منه حب المغامرة، والجرأة، والمقامرة، وتنـوع النشاط، وتعدد العلاقات، وموهبة توفيق الأطـراف، وجنـى حصيلة هذا التوفيق التي نطلق عليها اسم السمسرة، وفـوق كل هذا أخذ منه خطوة الانطلاق الأولى إلى عالم الأعمال.

هذا الرجل هو عدنان خاشقجي.

إنه الصورة الأوضح من محمد الفايد.. والشكل الأعم للحالة التي صار عليها الفرعون المصري.. كلاهما ملياردير وإن كانت ثروة عدنان أكبر. كلاهما يعمل في عدد هائل من دول العالم وإن كانت أعمال عدنان تشـمل عـددا أكبـر.. كلاهما ربح كثيرا من صفقات البترول وفـورة الـنفط فـي السبعينيات وإن كان عدنان قد استفاد أكثر.. كلاهما لديه عدد هائل من العلاقات المتنوعة مع السياسيين ورؤسـاء الـدول وإن كانت علاقات عدنان أكبر.. كلاهما عمل كثيـرا فـي مجال العقارات والمقاولات وإن كانت شركات عدنان أكبر.. وكلاهما له صلة قوية بدول الخليج وإن كانت صلات عدنان أعمق.. كلاهما عمل منذ البداية في دول الغـرب وإن كـان

عدنان أسبق.. وكلاهما تعرض بعد الرخاء لحملات مختلفـة في الغرب وإن كانت الحملات التي تعرض لها عدنان أكثـر تأثيرا، وكلاهما نجا من هذه الحملات لكـن الفايـد خـرج منتصرا ومتجها إلى مزيد من الإنجازات بينما تقهقر عـدنان لبعض الوقت.

والمقارنة هنا ليست مجرد مقارنة بين اثنـين مـن رجال الأعمال اللذين ينتميان إلى قومية واحـدة، اسـتطاعا اختراق المؤسسة الغربية.. وإنما هي مقارنة بـين رجلـين ارتباط لفترة من الوقت.. وكان سبب الارتباط هـو علاقـة مصاهرة.. خرج منها الأول – أي عدنان – دون أن يتذكرها كثيرا.. وخرج منها الثاني – أي محمد الفايد- وقـد اسـتفاد تمام وتعلم الدرس وحصل على قوة الانطلاقة الأولى – هذه القوة التي حولته من ابن مدرس سكندري عادي إلى ملياردير يتحدث عنه العالم.

إنها المصاهرة التي أدت إلى مـيلاد عمـاد محمـد الفايد، أكبر أبناء الإمبراطور الذي راح في النهاية ضـحية للعبة غامضة مارست فيها أطراف عديدة أدوارا كثيرة.

لقد بدأت القصة في منتصف الخمسينيات.

في الإسكندرية، حيث كان عدنان أحد أبنـاء ثـري سعودي من أصول تركية يدرس في كلية فيكتوريا المرموقة والتي تعلم فيها عدد كبير من أبنـاء الشخصـيات العربيـة البارزة. كان طالبا مميزا تماما. لـيس فـي مجـال العلـم والتحصيل.. ولكن في مجال الثروة والثراء.. هذا الذي حوله إلى زعيم بين زملائه، وخاصة أنـه كـان ينفـق نصـف مصروفه الذي يصل إليه من السعودية على معارفه.. فتحول إلى زعيم يتقرب منه الآخرون.

وقد كانت لدى عدنان خاشقجي أرضية عائلة قويـة تجعله يتصرف بهذه الطريقة... فهو ولد في عام ١٩٣٥ في أسرة طبيب كان يعالج الملك عبد العزيز آل سـعود.. وقـد كان هذا الطبيب لافتا للأنظار تماما.. ويقال أنـه أول مـن أدخل جهاز التصوير بالأشعة الطبية إلى المملكـة.. ويقـال أيضا أنه أول من أخل إلى الدولة التي كانت تعيش في حالة تخلف حضاري في ذلك الوقت جهـاز توليـد الكهربـاء.. واستخدمه في منزله.. ثم مد منه بعض الأسلاك إلى منـازل عائلات أخرى في مكة.

كان عدنان هو الابن الأكبر لهذا الرجل، الذي تجاهل فيما بعد تاريخه الطبي، وقدمه إلى الناس على أنه الأب الذي لقنه أول الدروس في عالم المال والتجارة.. فهو الذي جاء به ذات يوم وأعطاه ريالاً سعوديا معدينا، ألقـاه علـى سـجادة ناعمة فلم يحدث صوتًا، ثم ألقاه عبر الأرض الصلدة فأحدث رنينًا بالطبع.. وكان معنى الدرس واضحا.. فهو يطلب مـن ابنه ألا يلقي ماله في أي مكان.. وإنما في النقطة التي تجعله يحدث دويا كي يلتفت إليه الآخرون فيعود الريال ريالين.

هذا الشاب السعودي المعبأ بروح المغامرة والرغبـة في الربح وسماع صوت الريال وهو يـرن، لا يـذكر فـي تاريخه خلال حياته الأولى في الإسكندرية أنه كان مقبلاً على التعليم، وإنما يذكر قصة أول صفقة أتمها.. صفقة من النوع العادي.. بدأت بمعلومة من صديق ليبي يبحث أبوه عن كمية من المناشف.. ثم سعى من عدنان للعثور على مصنع يقـدم إلى الأب الليبي ما يرى.. ثم إتمام الصفقة.. وبعدها حصـل عدنان على مائتي جنيه من والد صديقه.. فكانت تلـك هـي أول عمولة حصل عليها.. تؤكد أن روح السمسـار كانـت مغروسة تماما في نفس هذا الرجل.

في هذه الفترة نشأت العلاقة بين محمد الفايد وعدنان خاشقجي.. في نحو عام ١٩٥٢.. أي حين كان عمر عدنان لا يزيد على ١٧ عاما، بينما الفايد يكبره بسـت سـنوات... وكان سبب العلاقة هو الجيرة.. إذ كان عدنان يعيش في شقة خاصة بأسرته في الإسكندرية... قريبة جدا من شقة عائلـة الفايد.. وتم التعارف في نفس الوقت الذي كانت فيـه أسـرة عدنان تنمو بسرعة الصاروخ في السعودية.. إذ حصلت في نفس العام على امتياز استخراج الجبس من إحدى المنـاطق في المملكة لمدة خمسين عاما تنتهي في عام ٢٠٠٢، وأسس والد عدنان لهذا الغرض شركة كبرى اسمها " شركة النصر للتجارة والصناعة "

ولم يكن صعبا على محمد الفايـد أن يقنـع الشـاب السعودي الصغير، بينما هناك مئات من المصريين يسافرون إلى هذه الدولة الجديدة، بأن يوظفه في هذه الشركة.. بعد عام واحد من تأسيسها.. فسافر الإمبراطور القادم إلى السعودية بعقد عمل في عام ١٩٥٣. وبينما كان عدنان ينمـو علـى المستوى الشخصي في الولايات المتحدة هاجرا الدراسة التي اقتنع أنها لن تفيده، وبينما كان يحصل على بضائع أمريكيـة

تباع في السعودية من خلال شركة أبيه، وبينما حصل علـى أول عمولة كبيرة من خلال اتفاقه على إنشاء مصنع طـوب أمريكي في السعودية.. بينما كل هذا يحدث كانت العلاقة بين محمد الفايد وسميرة أخت عدنان تتوطد.. لاسيما أنها كانـت هي الأخرى تدرس في الإسكندرية... فتزوجها محمد.

لقد بدت سميرة، التي كانت جملية إلى حد بعيد، فتاة ضعيفة أمام هذا الشاب السكندري المفعم بالأحلام والطموح، وربما أضاف حبها للإسكندرية ومصر بعدا جديدا إلى هـذا الضعف، جعلها تنجرف تماما في حب المصري الذي سوف يتحدث عنه العالم فيما بعد.. هذا الضعف الذي جعل البعض في فترات لاحقة يؤكد أن سميرة هي التـي طلبـت محمـد للزواج.. وإن كانت هذه المعلومة غير موثقة تاريخيا تماما.. إلا أن طبيعة شخصية سميرة التي تجلت تماما في السـنوات التالية توحي بهذا.. فقد كانت كلما أعجبها رجـل تزوجتـه هي.. وكانت هي التي تقوم بخطـوات المبـادرة الأولـى.. وكانت تفعل ذلك مدفوعة بإحساس جارف بأنها تملـك كـل شيء.. ويمكنها أن تفعل أي شيء.. في البداية بسبب مركز

عائلتها المالي.. وفيما بعد بسبب حجم نفوذ أخيها الذي يبـدو أنه كان يحبها تماما ولا يرفض لها طلبا.

في هذه الأثناء كان عدنان يبني إمبراطوريته، يـدعم موقفه أمام من يتعاملون معه بإنفاق أموال عديدة رغم أنه في هذه اللحظات التي كان ينفق فيها المال ببذخ لم يكـن يمـلك الكثير، كان متأثرا تماما بالأسلوب الأمريكي الـذي يخلـق الانطباع الوهمي عن حجم رأس المال.. فيبدو الأمر وكأنـه يملك الكثير.. وقد نجح بهذا الأسلوب في أن يعطي انطباعـا لدى السعوديين بأنه رجل ذو خبرة كبيرة.

ولم يمض وقت طويل حتى كان هذا الشاب السعودي قد خلق لنفسه دورا.. بين الاقتصاد السعودي الساعي للنمـو والعالم الغربي الهادف إلى الاستفادة تماما من الفرص العديدة في بلاد النفط.. بين بلاد تريد أن تشتري كل شيء.. وبـلاد تريد أن تبيع أي شيء.. ومن هنا نجحت صـفقته الكبـرى الأولى حين باع عددا من الشاحنات الأمريكيـة للسـعودية وحصل على عمولة قدرها ٥٤٥ ألف دولار.. ثم باع منهـا عددا أكبر.. وساعدته هذه العملية في أن يدخل مجال الـربح الأكبر.. مجال الأعمال العسكرية.. وكان أن حصـل علـى

عقد لشركة أمريكية كي تقوم بإدارة قاعدة الظهران الجوية.. وكان أن تفتحت عيونه، وامتدت أصابعه، واخترق جسده عالما سريا من نوع غامض.. يربح المتعاملون فيه الملايين.. وتحرقهم أحيانًا عمليات الخروج عن قواعد اللعب المفترضة.. إنه عالم تجارة السلاح.

ولم يكن عدنان قد أكمل عامة التاسع والعشرين حتى كانت قد وصل إلى واحدة من أضخم شركات السلاح في العالم.. شركة " لوكهيد الأمريكية " التي كانت في عام ١٩٦٤ تعطيه ألفي دولار شهريا مقابل دراسات عن السوق.. ورغم أنه فشل في بيع مجموعة من طائرات " ستارفايتر" في هذا العام، إلا أنه باع أنظمة دفاع، وتطور الأمر في عام ١٩٦٧ حين حقق مبيعات لصواريخ هوك بلغت قيمتها مليارا و ٤٠٠ مليون دولار. ثم باع طائرات سي – ١٣٠ للنقل العسكري، وطائرات " نورثورب" المقاتلة، وطائرات " إف-٥" ومعدات بلجيكية وطائرات بريطانية. وتضخمت ثروته يوما تلو آخر.. خاصة إذا علمنا أنه باع معدات عسكرية فرنسية بنحو ٦٠٠ مليون دولار- في ذلك الوقت – وكانت عمولته ٣٥ مليون دولار.

واقع الأمر أن المقارنة في تلك الفتـرة بـين الفايـد وعدنان تظلم الأول تماما، فعلى الرغم من أن الفايد كان قـد دلف إلى الأسواق العالمية بعدة مئات من آلاف الدولارات إلا أن عدنان كان قد تجاوز هذا السقف تماما.. لكن الفايد فيمـا يبدو كان يعي درس عدنان جيدا، ويحاول بقدر الإمكـان أن يخترق الأسواق من خلال علاقات شخصية عديدة.. كما فعل عدنان.. الذي كان نموذجا فريدا في هذا السياق.. وبدا وكأنه الشخص الذي أرادته كل الأطراف في هذه الفترة التاريخيـة كي يلعب الدور المطلوب.

وفيما بعد سوف نرى كيف حول الفايد أنشطته إلـى مؤسسة عائلية، وهو نفسه ما كان عدنان قد فعله تماما مـن قبل.. وبالتحديد في بداية السبعينيات.. حين ضم إليه أخويـه عادل وعصام في شركة أطلق عليها اسم " الثلاثيـة " – أو " ترياد" كما تقول مجلة " فورتشيون" الأمريكية فـي تحقيـق نشرته عن عدنان خاشقجي في يونيو ١٩٧٧.

لقد كان دور عادل هو إدارة أعمال هذه الشركة في السعودية، وكان دور عصام هو إدارة جناح للشركة يعمـل

في مجال التصميم المعمـاري وإنتـاج المفروشـات وإدارة الفنادق.

الشقيقة الأخرى، سميرة، كانت بعيدة تماما عن كـل هذا. ذلك أنها بعد أن لعبت دورا هاما في حياة محمد الفايـد حين أدخلته عبر الزواج إلى عالم عائلة خاشقجي فـي عـام ١٩٥٤.. عادت وتركته. وتم الطلاق في عام ١٩٥٦... بعد أن أنجبت من محمد الفايد طفلاً اسمه عماد.. هو ذلك الشاب الذي صار العالم كله يدلـله باسم دودوي قبل أن يموت فـي حادث نفق ألما المعروف..

وحسب وصف الصحفي المعروف ناصر النشاشيبي في كتابه " حضرات الزملاء المحترمين" فإن سميرة كانـت حائرة.. بين ثلاث صفات.. فهل هي أنثى تريـد أن تبقـى زوجة وحسب.. وهل هي سيدة سعودية من عائلة ثرية تريد أن تقدم نفسها إلى العالم على أنها أديبة وصحفية؟ ... أم هي أخت الملياردير عدنان خاشقجي تعيش فـي كنفـه وتـنعم بملايينه وتتسلى بعشرات من قصصه؟ وقد أجاب النشاشيبي بأنها اختارت في البداية أن تكون زوجة حين اقترنت بمحمد الفايد..

لكن سميرة كانت في حقيقة الأمر شخصية مضطربة تعيش تنازعا بين هذه الصفات الثلاث، وقد حاولت أن تنجح في أن تكون زوجة ففشلت عدة مرات. وحاولت أن تكونـه صحفية وأديبة، لكن نجاحها لم يكن ملكها وإنما مالك الأموال التي كانت تشتري بها عشرات من الصحفيين العرب الـذي كانوا يكتبون في مجلتها " الشرقية" ويخرجون مـن عنـدها يمجدون في موهبتها المزعومة مقابل ما يكسـبون منهـا... وبقيت في النهاية هي أخت عدنان، التـي تريـد أن تصـنع لنفسها اسما، ويوافق أخوها على أن يلبي لها رغباتهـا، وأن يعطيها مزيدا من الأموال لتنفقها على أزواجها وصـحفييها، بل يوظف أزواجها أيضا لديه.

هكذا تزوجت سميرة محمد الفايد ثم طلقـت منـه، وتزوجت ياسين ابن الشيخ يوسـف شـاهين وكيـل وزارة الخارجية السعودية ثم طلقت منه، وهكذا أصـدرت مجلـة كانت تعقد الاتفاقات على تحريرها فوق يخت أخيها عشـرة آلاف دولار في الشهر لصحفي يعمل مستشارا لديها، وهكذا كانت تدفع مائة ألف دولار في الشهر مقابل نقل مواد مجلـة

"إل" الفرنسية في مجلتها العربية، وهكذا كانت تـدير هـذه المجلة من مكاتب في القاهرة ومدريد وباريس.

هذه السيدة المهتزة، لم يكن من الممكـن أن تكمـل المسيرة مع محمد الفايد، ليس فقط لأنها كانت تدمن الخمـر، ولكن أيضا لأنها كانت ضـعيفة تمامـا.. تهـوى الشـباب وتتزوجهم، ويمكن أن تدخل عليها صحفية لتروي لها منامـا عن أنها رأتها في الحلم ترتدي ملابـس بيضـاء وتركـب حصانًا أشهب.. فتتراجع سميرة عن أن تفصل هذه الصحفية من مجلتها.

رغم ذلك كان هناك عدد من الصحفيين يقدم سـميرة على أنها صحفية موهوبة وأديبة مرموقـة.. وكمثـال فـإن صحفيا كتب في جريدة " الأيام" الخليجية فـي عـام ١٩٧٨ يقول: " إن هذه السيدة التي توقـع مقالاتهـا باسـم " بنـت الجزيرة" ظاهرة.. وقال آخر: إنها تبنت قضايا المرأة وقدمت أفكارا جديدة ولها موهبة إبداعية ظهرت في سن مبكرة "

وكانت سميرة في الواقع تحاول أن تقدم نفسها بشكل أكبر من هذا، إذ عملت مثلاً على تأسيس جمعية نسائية هـي الأولى من نوعها في السعودية.. طنْطَنَـتْ لهـا الصـحف

كثيرا.. ثم اتضح أنها لم تقم بشيء. ودعت في إحدى المرات لمسابقة اختيار الابن المثالي ولإنشاء عيد اسمه عيد الأسـرة في محاولة منها لمحاكاة فكرة "عيد الأم" التي قدمها الكاتـب الكبير مصطفي أمين.. والذي كان هو وأخوه على أمين من المستشارين لديها.

لكن سميرة في حقيقة الأمر كانت امـرأة مرفهـة، تنتقل بعواطفها من رجل إلى آخر، وهكـذا وجـدت نفسـها خلال حفل أقيم في السفارة اللبنانية بالقاهرة احتفـالاً بالعيـد القومي للبنان تقع في حب شاب لبناني لم يكن يزيـد علـى كونه موظفًا إداريا في السفارة.. ولا تزيد سـنه علـى ٣٠ عاما، ولا يتحرك راتبه عن سقف الألف ليرة، وأمه كانـت مطربة في الملاهي.

وتجاوزت سميرة كل هذا، وقررت أن تتزوج هـذا الشاب الذي كان اسمه عبد الرحمن الأسير، وأن تصنع منـه رجلاً من نوع خاص، حين ألحقته بسرعة فـي مؤسسـات أخيها.. وهي تريد أن تجعل منه " أشهر رجل أعمال وأشهر صحفي في نفس الوقت"

هذا الشاب هو الذي قضى على تلك المـرأة التـي كانت زوجة ذات يوم لمحمد الفايد..

لقد دخل إلى عالم عدنان، ولم يفهم قواعـد اللعـب، فراح يتجاوز عددا هائلاً من الخطوط الحمراء.. ليس فقـط في العمل.. ولكن أيضا في حياة سـميرة.. وبـدا وكأنـه لا يدرك أن حياته مرتبطة بهذه الزيجة.. وكان أن أخـذ مـن سميرة الكثير.. المال والهدايا بلا حساب... في نفس الوقـت الذي مضى فيه ينعم بشبابه.. فيتأنق.. وينفق كثيرا.. ويعين جيشًا من السكرتيرات في مكاتبه.. ويغازل النساء علنًا.. بل تصل معلومات إلى سميرة عن خياناته المتعددة.

ولم يفهم عبد الرحمن المعادلة. كان يعطـي السـيدة العجوز بعض شبابه.. ويضن عليها بـالكثير.. رغـم أنهـا اشترت قصرا في مدريد ثمنه خمسة ملايـين دولار عـاش معها فيه.. ورغم أنها وظفت عددا هائلاً من نساء عائلتـه.. وأغدقت على أمه بعشرات الهدايا.

ولم يدرك عبد الرحمن أن المرأة التي يقولـون لهـا أنها صحفية موهوبة وأديبة مرموقة تريد أن تنسى أنها بلغت سن اليأس. وتريد أن تنجب من جديد.. بعد أن أنجبت عمـاد

من الفايد وجمانة من ياسين.. تريد أن تثبت أنها لـم تـزل امرأة قوية وأنثى خصبة وتربة لم تجدب.. وإنما قادرة على أن تطرح المزيد... ولم يلحظ رحلاتها المتكررة لكل كبـار أطباء أوربا بحثًا عن طفل.. ومضى في علاقة خفيـة مـع إحدى سكرتيراته الأسبانيات.. فطلقته هو الآخر.

في هذه الأثناء كان الفايد قد تجاوز هذه السيدة تماما. وبينما هو غارق حتى أذنيـه فـي معركـة هـارودز فـي بريطانيا... كانت هي تحاول أن تنسى مأسـاتها مـع عبـد الرحمن الأسير.. وتقول أنها تعرضت لمحاولة اختطاف في باريس.. وتـروي كيـف أنهـا كانـت تركـب سـيارتها الرولزرويس، وبينما يفتح لها سائقها المغربي الباب.. هاجم مختطف السائق، وأصابه بجرح خطير، وقاد الآخر السيارة، وظن الاثنان أننا معهما.. في حين نجت هـي مـن عمليـة الاختطاف حين سطقت من الرولزرويس.

هذه القصة لم تنسها عبد الرحمن الأسير.

وكانت بين حين وآخر تتصل من شقتها الفاخرة في حي الزمالك بالقاهرة بابنتها التي كانت تعيش فـي أسـبانيا لتسأل عن عبد الرحمن. وذات يوم أجابتها ابنتها بأن زوجـة

عبد الرحمن الأسبانية قد حملت واقتربت من الولادة. في هذه الليلة انهارت سميرة.. لم تفلح كل ملايين أخيها في إنقاذهـا من أزمة نفسية حادة.. لم تستطع كل هذه السـمعة الوهميـة حول الموهبة الصحفية والأديبة أن تبعدها عن أزمة امـرأة تخطت منتصف العمر ولم تستطع الإنجاب من جديد.. وكان أن ابتلعت كمية هائلة من الحبوب المنومة.. اختلط تأثيرهـا مع تأثير الخمر.. فحدث انفجار دموي في المخ.. أدى إلـى الموت..

لقد فُسر الأمر على أنه قضاء وقدر.

وقال تفسير آخر أنه انتحار.

لكن الذي يهمنا في هذا الأمر أن محمد الفايد لم يهتم كثيرا، فقط واسى ابنه عماد الذي سافر بسرعة إلى القـاهرة ليحضر جنازة أمه. وأرسل برقية عزاء إلى خالـه عـدنان خاشقجي.

لقد بدا وكأن جناحي الأسرة.. الفايد مـن ناحيـة.. وعدنان من ناحية.. ليست لهما علاقة حالية على الإطلاق.. وبدا وكأن منافسات الأسواق قد خلقت أجـواء العـداء بـين الجانبين.. وقد تأكد هذا فيما بعد مرتين. الأولى: حين قبـل

عدنان خاشقجي دعوة للظهور في برنامج تليفزيـوني فـي بريطانيا حين كانت هناك أطراف تريد أن تبحث في أصـل وفصل الفايد، وقال في هذا البرنامج أن علي شـقيق محمـد الفايد كان يعمل لديه في شركته.

كان معنى هذا واضحا، وهو أن عدنان يريد أن يدعم الأقوال التي ترى أن أسرة الفايد ليست عريقة.. وإنما هـي أسرة عادية.

ولم يلغ هذا العداء المتبادل صـمت محمـد الفايـد وخروج أخيه ليؤكد لوسائل الإعلام أنه لـم يقابـل عـدنان خاشقجي سوى خلال فترة الدراسة الجامعية في كاليفورنيا.. فحسب..

المرة الثانية: التي أكدت حالة العـداء بـين الفايـد وخاشقجي كانت حين مات عماد الفايد.. ولم يحضـر خالـه عدنان جنازته. ونشر أبوه نعيا في جريدة الأهرام.. تجاهـل فيه تماما ذكر اسم الخال خاشقجي.. فقط قال أنه " ابن رجل الاقتصاد محمد الفايد والمغفـور لهـا المرحومـة سـميرة خاشقجي" وفي نهاية النعي استمر التجاهل.. حين قال: " إنه

قريب ونسيب عائلات الفايد ومحمد إبراهيم وسالم وسلطان وصادق والبحر وأبو الفضل وعامر".

ولكن هل ينفي هذا التجاهل ما حفره التاريخ من علاقة وطيدة بين الفايد وخاشقجي؟.. هل ينفي أن الفايد بدأ في أحضان عدنان وعائلته؟

لا أظن!

٢

الثروة المجهولة

- اسألوا عني في دبي.. لقد بنيتها

" ولم تكن عائلته عريقة، ولم تتاجر في القطن، إنه مجرد ابن مـدرس مصـري عادي، عمل لبعض الوقت بائعا للكوكاكولا.. وماكينات الخياطة"

كان السؤال الملح دائما في وسط كل هذه المعركـة التي فجرت اسم الفايد على الساحة في بريطانيـا والعـالم – معركة هارودز – هو: من أين جاءت ثروة محمـد الفايـد؟ وكيف جمع كل هذه الأموال كي يستطيع بين يوم وليلـة أن يشتري محلات هارودز بـ ٦١٥ مليون جنيه استرليني؟

لقد ظل هذا السؤال سيفًا مسلطًا على رقبـة العائلـة سنوات طويلة.. ولم يزل يلوح به من حين إلى آخر، حتـى بعد أن حسمت معركة هاردوز، التي رفعت بالفعل قيمة ثروة محمد الفايد الآن، بعد أن زادت قيمة المحلات إلى نحو ثلاثة أضعاف السعر الذي كانت عليه حين اشتراها!

وبمعنى أوضح فإن ما يملكه الفايد فـي " هـارودز" وحدها يصل الآن إلى ١٨٠٠ مليون جنيه استرليني.. أي ما يقرب من ثمانية مليارات جنيه مصري.. وهو مـا يـوازي عشر الدخل القومي المصري في عام.. بخلاف أرقام أخرى يملكها وبعيدة تماما عن حسابات هارودز التـي لا يقتصـر نشاط محمد الفايد عليها بالطبع.

ولكن الأزمة الحقيقية ليست في الوضـع الحـالي.. وإنما في الوضع السابق.. أي في الطريقة التي حصل بهـا

الفايد على الأموال عشية شرائه لأسهم شركة " هاوس أوف فريزر"

ولقد حاول محمد الفايد أن يبعد هذا السيف المسـلط على رقبته دائما، في تلك الأثناء التي حاول تيني رولاند أن يبعده عن هارودز. وكان محمد الفايد يجيب ويقول ما هـي مصادر ثروته.. ولكن أطرافًا عديدة كانت ترفض إجاباتـه، خاصة أن بعضها غير موثق.. ومن هنا كان منافسوه يعيدون تسليط السيف على رقبته.. ويبحثون عن أصوله ليؤكدوا أنه حصل على هذه الأموال بطرق غامضة.. أو أنها ليست لـه حسب ما جاء في روايات أخرى.

لقد كان هدف الحملة التي يقودهـا تينـي رولانـد، منافسه اللدود على هاردوز، هو أن يثبت اتهامه له. ومن هنا نجحت ضغوطه في أن تقرر السلطات البريطانيـة إرسـال ضابطين من البوليس البريطـاني- سـكوتلانديارد- إلـى مصر.. كي يفحصا وينقبا في أصول وجذور عائلـة الفايـد وإجراء تحريات وتحقيقات عن مصـادر ثـروة العائلـة.. وتحديدا فيما يخص محمد وعلى وصلاح. وفي أبريل نهايته بالتحديد، وصل الضابطّان إلى مصر.. وقدما طلبـا رسـميا

إلى النائب العام في القاهرة كي يوافق على شرعية مهتمهما. لكن النائب العام رفض.. وكان سبب الرفض هو أنه يجـب أن يكون هناك طلب رسمي من المدعى العام البريطـاني.. باعتباره جهة الاختصاص. وفيما بعد تأكد الرفض حين قال النائب العام المساعد في مصر: إن مصر دولة ذات سـيادة ولا يجوز لجهة تحقيق أو تحرٍ أجنبية أن تمارس مهام كهذه دون صدور حكم قضائي تعترف به مصر أولاً "

كان معنى مهمة الضابطين واضحا. وكانت له أبعاد غير مقبولة سياسيا أمنيا وسياديا.. وغادر الضابطًان مصـر بخُفي حنين. لكن هذا لا ينفي أن هناك منـدوبين رسـميين آخرين ظهروا على الساحة في مصـر مـن أجـل نفـس الغرض.. في وقت لاحق.. لكن الذي حدث هو أنـه تمـت حركة التفاف ذكية حول القرار.. وبدلاً من أن يتم التحـري عن طريق خبراء الأمن.. تم عن طريق رجـال الصـحافة والتليفزيون وكافة وسائل الإعلام الأخرى.. فـي بريطانيـا وغيرها.

وفي بداية مايو ١٩٨٩ بدأ تنفيذ الخطة البديلة.

وتقدم بيتر ويكمان، وهو صحفي بريطـاني يعمـل مراسلاً لجريدة الأوبزرفر بنظام القطعة.. سبق أن كتب عدة مقالات بها ضد الفايد، وجوليان مـانيون.. وهـو صـحفي ألماني يعمل معلقًا في محطة تليفزيـون بريطانيـة.. تقـدما بطلب إلى المركز الصحفي التابع لهيئة الاسـتعلامات مـع مصور بريطاني للحصول على تصريح بإجراءات تصـوير فيلم إخباري..

لم يكن بالطلب أي ذكر لعائلة الفايد.. وبالتالي فقـد أعطتهم مصلحة الاستعلامات التصريح.. تحت بند " تصريح تغطية إعلامية" لوفد محطة تايمس وهي محطة تقوم بإعـداد وإنتاج البرامج لصالح القناتين الثالثة والرابعة في بريطانيا.. وغيرهما من تليفزيونات العالم. وكانت مدة التصريح قاصرة على الفترة بين ٩ و ١٤ مايو ١٩٨٩.. وحددت فيه الأماكن المراد تصويرها بثلاث مناطق: " مشـاهد عامـة لشـوارع وميادين ومباني القاهرة والجيزة الرئيسية " و" مشاهد عامـة لشوارع وميادين ومباني الإسكندرية الرئيسـية " و" منطقـة الأهرامات "

وفي نهاية التصريح الـذي وقعـه مـدير المركـز الصحفي قالت هيئة الاستعلامات: " هذا وقد وافقت الجهـات الأمنية المعنية على التصوير، وبرجاء تسهيل مهمة الوفد "

هكذا خلا التصريح من أية أمور لها علاقة بالفايـد وأسرته، لكن الذي حدث هو أن البريطانيين الثلاثة سـافروا رأسا إلى الإسكندرية، وبدأو بالفعل تصوير حواري منطقـة الجمرك كي يقولوا أنه هنا ولد ونشأ محمد الفايد.

وفيما يبدو فإن جوليان مانيون تحديدا كانت تتابعـه عيون محمد الفايد. إذ اتضح فيما بعد أنه كان قادما من رحلة إلى سلطنة بروناي قابل خلالها السلطان وسأله عن علاقتـه بالفايد.. وكان مثيرا أنه حين وصل جوليـان مـانيون إلـى القاهرة لإتمام المهمة الجديدة كان صلاح الفايد موجودا فـي مصر في نفس الفترة.. وهو أمر قلما يحدث. وفي غضـون هذا، ومما يزيد من علامات التعجب في القصة، فإن مشـادة كبرى حدثت بين المصورين وأعضاء الفريـق التليفزيـوني وسكان الحواري التي كانوا يصـورونها. وظهـر السـكان الفقراء في دفاعهم عـن أسـرة الفايـد وسـمعتها وكـأنهم

مشحونون تماما بتفاصيل القضية.. وبـأن هنـاك مواطنًـا مصريا يريد هؤلاء أن يسيئوا إليه.

والطريف أن جريدة الوفد حين نشرت ذلك الخبر بعد ذلك أكدت أن أشرف مروان معاون وشريك تيني رولانـد كان موجودا في الإسكندرية، وقت تصوير الفيلم الإخباري.. بينما رأت " مايو" على لسان رئيس مجلس إدارتها الراحـل عبد الله عبد الباري أن كل قصـة الاعتـداء علـى فريـق التليفزيون ملفقة. وأن البلاغ الذي تقدم به هؤلاء إلـى قسـم المنتزه- رغم أن الحادث جرى في قسم الجمرك- وزعمـوا فيه أن عائلة الفايد هي التي حرضت الأهالى على ضـربهم إنما هو بلاغ ملفق.. بدليل أن الواقعة- كما يقـول عبـد الله عبد الباري- كانت تحدث بينما أفراد عائلة الفايد في لنـدن، وصلاح فايد في القاهرة طوال اليوم.

وكان موقف فريق التليفزيون البريطـاني ضـعيفًا.. خاصة أن التصريح الذي حصلوا عليه لم تكـن بـه علـى الإطلاق أية إشارة إلى منطقة الجمـرك وحـواري وأزقـة الإسكندرية.. ولم يكن غريبا أن يغادروا البلاد بسرعة.. بعد أن قدموا البلاغ، الذي تابعته لبعض الوقت مساعدة القنصـل

البريطاني في الإسكندرية.. ثم انتهى الأمر.. وخمدت نيران القصة.

بعد هذا بيومين فقط كان محمد الفايد يظهر في لقطة مصورة مع الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا حين كانت تحضر سباقًا للخيول.. في مضمار يملكه.. وكانـت الصـورة ذات مغزى.. إلا أن هذا لم يكن ينفى أن سيف الأسئلة التي تبحث عن مصدر ثروة الفايد كان مسلطًا لم يزل.. وأن هذه الأسئلة ظلت تطرح من خلال الصحف وبرامج التليفزيون.

وصارت مصر هدفًا للمراسيلن من كل أنحاء العالم.

واستُدعي محمد فرغلي باشا، ملك تجـارة القطـن القديم من عزلته، على يد مراسل لمجلة شتيرن الألمانيـة.. وسأله عن أصول الفايد، وهل هو كما يزعم كان ملكًا مـن ملوك القطن، وأنه كان من زراعه ومصدريه، وأنـه كـان يملك سفنًا عديدة.. وأجاب فرغلي باشا الذي كان قـد بلـغ الثمانين من عمره وهو ملفوف في بطانية وتقف بجواره ابنته ترعاه.. أجاب بالنفي. وقال: إنني لم أسمع هذا الاسـم مـن قبل.

وفيما بعد اتضح أن مراسل شتيرن هو نفسه مراسل جريدة الأوبزرفر، الذي تعرض لعلقـة سـاخنة فـي حـي الجمرك بالإسكندرية. وهو السبب الذي دعا محمـد الفايـد للاعتراض على إذاعة البرنامج الذي تـم تصـوير بعـض أجزائه في القاهرة.. لكن هذا الاعتراض لم يعطل الإذاعة..

وعلى الرغم من أن الفايد كان لديه رد جاهز علـى كل نقطة تثار ضده، إلا أنه كان يعاني من السـيف المسـلط على رقبته.. وظل يتعرض لحمله كان هدفها يبدو كأنها تريد أن تلقي عليه كل يوم مزيدا من الوحل.. عل بعضه يلتصـق به،، والتصق بعضه فعلاً في ثياب الفايـد رغـم عمليـات الاغتسال التي كان يقوم بها كل يوم.

والواقع أن هذه المحاولات العديدة التي قامت بهـا صحف التليفزيون لم تجب عن السؤال الهام، وهو: من أيـن جاءت ثروة الفايد؟ وهي كانت دوما تلقي فقط بالسؤال مـع إشارات خفية إلى أن المصدر ليس واضحا.. وكانت دومـا تقفز من بداية وصوله إلى لندن وحتى مرحلة شراء هارودز، ناسية تماما هذه السنوات الطويلة بين منتصـف السـتينيات ومنتصف الثمانينيات التي تكونت فيها ثروته بالفعل.

لقد ولد محمد- الشقيق الأكبر الذي يحظى بالشهرة- في عام ١٩٢٩، وكان أبوه مدرسا عاديا يعـيش فـي حـي الأنفوشي. التي لم تكن تبعد عن منزل الأسرة في الأنفوشـي كثيرا.. إذ كانت موجودة في منقطة أبو العباس.. لكن، لأنها كانت تشغل قصرا قديما تهدمت تمام في بداية الثمانينيات.

هذا المدرس العادي لم تكن لـه علاقـة واضـحة ومؤكدة بمدينة فايد التابعة لمحافظة الإسماعيلية، لكن هنـاك من قال فيما بعد أن اسم المدينة مـرتبط باسـم الأسـرة.. كنوع من إكساب العائلة صفات من نوع خاص. وقد ظل هذا المدرس- الذي لا يعيبه بالطبع كونه مدرسا – يعـيش فـي شقته تلك بحارة سيد الوكيعي في المنزل رقم (٥)، المكـون من أربعة طوابق، والذي كان يملكه بالكامل، حتـى باعـه باستثناء شقته ثم باعها بدورها قبل بداية الستينيات.

وترى بعض التحريات التي أجرتها جهـات غربيـة كانت تنقب في أصل وجذور العائلة أن محمد الفايد عمل في بداية شبابه في أعمال تجاريـة بسـيطة.. بـدأت بتسـويق الكوكاكولا ولم تنته بتسويق ماكينات الخياطة. وعلى الـرغم من أن تلك واحدة من الفترات المظلمة في تاريخ حياة الفايد

لندرة المعلومات، إلا أنه ليس هناك ما يؤكد أن هذه الأسـرة كانت ذات باع في مجال الزراعة وتجارة القطن.. فقط يمكن استنتاج أن هذا الرجل الذي كان يعمل في مجال التعليم أنجب ثلاثة شباب، كل منهم كانت لديه رغبة حادة وواضحة فـي النمو وهجر الحياة الرتيبة.

وإن هذه هي صفات أغلـب شـباب هـذه المدينـة الساحلية الجميلة، الإسكندرية، حيث يتعلمون من البحر حب الترحال والرغبة في اكتشاف المجهول والاندفاع في اتجـاه المغامرة.. التي قد تصبح مقامرة.. والحلم بحياة مـن نـوع مختلف يخفيها البحر خلف مياهه العريضة.. في أوربا.

لكن محمد الفايد لم يتجه في البداية إلى الشمال، وإنما اتجه إلى الشرق. حيث السعودية .. بعد أن تم التعارف مـع المراهق السعودي المغامر هو الآخر عدنان خاشقجي والذي كان يدرس في كلية فيكتوريا بالإسكندرية. ففي عام ١٩٥٢، أي في نفس السنة التي قامت فيها ثورة يوليو كانـت عائلـة خاشقجي- كما أوضح ذلك فصل سابق- قد حصـلت علـى امتياز استخراج الجبس من الأراضي السعودية عبر شركة " النصر للصناعة والتجارة " حسب اتفاق يمتد إلى الخمسـين

عاما وينتهي في عام ٢٠٠٢، وفي عام ١٩٥٣ كان محمـد الفايد قد التحق بعمل مميز في هذه الشركة. وفي عام ١٩٥٤ كان قد اندمج بقوة أكبر في عائلة خاشقجي حين تزوج مـن أخت عدنان.. سميرة، وصار واحدا من الرجال البـارزين في نشاط الأسرة السعودية التي كان ذكاء عدنان قـد بـدأ يحولها إلى مؤسسة أكبر.. نشاطها ليس قاصرا فقـط علـى السعودية.

وفي العام التالي أنجب محمد الفايد ابنه الأكبر عماد. وفي العام الذي تلاه كـان قـد طلـق سـميرة.. أي فـي عام١٩٥٦.

هذه ا لسنوات الأربع كانت هي الأكثر تميزا في حياة هذا الشاب السكندري الطموح، بمعنى آخر كانت هي التـي وفرت لمحمد وأخوته " الخميرة " الأولى لنمـو الثـروة. إذ سرعان ما أسس الأخوة الثلاثة أول شركة باسـمهم فـي نهاية هذا العام – ١٩٥٦ – هي شـركة " فـاروس " التـي كانت تعمل في نقل الأثاث بين المـدن. وبعـدها بسـنوات صادف الأخوة الثلاثة رجل أعمال يونانيا من بـين هـؤلاء الأجانب الذين كانوا يعيشون في مصر قبل الثـورة.. ولـم

تعجبهم أحوال الدولة بعد الثـورة .. وقـرروا مغادرتهـا. واشترى أولاد الفايد منه شركة سياحة يملكها، كان اسـمها " شركة دي كاسترو للسياحة" وصار اسم الشركة هو " شركة فايد للسياحة " .. ولم يشـأ الإخـوة أن يخسـروا العلامـة التجارية القديمة فجعلوا للشركة اسما ثانويا آخر هو " خلفاء دي كاسترو وشركاه " ولم يتوقفوا في هذا المجال عند هـذا الحد. وانطلقوا إلى إنشاء شركة أخرى هي شركة " الشـرق الأوسط للسياحة والتوكيلات الملاحية "

وعلى الرغم من أن محمد الفايد يزعم أن دولة جمال عبد الناصر قد أممت عددا كبيرا من شركاته " لقد أمم كـل شيء باستثناء قلبي وعقلي "إلا أنه ليس من الواضح أن الفايد كان أكبر الخاسرين في عمليات التـأميم التـي بـدأت فـي الستينيات.. وإن كان من المؤكد أنه وإخوته قد اتجهوا إلـى جولات مختلفة في العالم.. من الخليج إلى أوروبا ومن آسيا إلى الولايات المتحدة.،

وقبل أن تبدأ عملية الاستقرار الكبرى للإخوة الثلاثة في لندن، بينما الأب وابنتاه صفية وسعاد أختا محمد يعيشون في الإسكندرية، كان أول ظهور دولي لمحمـد الفايـد فـي

جزيرة هايتي عام ١٩٩٦، حين أسس شركة للعمل في أعمال الموانئ برأس مال تقول التقديرات البريطانية أنه لـم يكـن يزيد على مائة ألف دولار فقط.

هذا الرقم لو ذكر في مصر في ذلك الحين كان يعتبر ثروة، إذا أدركت أن وزير المالية كان يمنح الموظف الكبير المسافر إلى الخارج بدل سفر قد لا يزيـد علـى خمسـين دولارا غير. لكن الفايد الذي اختار " هايتي" لبدايـة أحـد أنشطته الدولية كان بهذه الخطوة يكشف عن رجل أعمـال من نوع مختلف، تعلم بعض القواعد، لاسيما أن هايتي واحدة من مناطق العالم التي يقبل عليها المستثمرون حيث القوانين والضرائب أخف وطأة من أماكن أخرى.

في هذه الفترة، من المؤكد أن الفايد كان يملك أكثـر من المائة ألف دولار بكثير، وأنه رغم خسارته التي يتحدث عنها من التأميمات، إلا أنه استفاد أيضا حين انتهز فرصـة هروب الأجانب من مصر واشترى من مواطن يوناني آخـر اسمه " لابورتا " قصره الفخيم في حي فيكتوريا العريق فـي الإسكندرية.. وهو قصر لم تزل العائلة تملكه ويمتـد علـى مساحة ٣٥ ألف متر مربع، وبه حديقة رائعة وحمام سـباحة

كبير، وتماثل من النحاس.. ولا يزوره الآن سوى صلاح الفايد الذي يبدو وكأنه هو المنوط من جانب الإخوة بإدارة أعمال وشئون الأسرة في مصر.. بعد أن استقروا في الخارج.

ولقد كان صلاح حريصا على الاستقرار بشكل أسرع من أخويه، إذ تزوج من إيطالية في عام١٩٧٠، لكن هذا الزواج الاستثنائي لم يعطل الإخوة الثلاثة عن أن يتحركوا كوحدة واحدة في نشاطهم المحموم نحو الثورة. وفي حين كانوا قد بدأوا العمل في مجال البقالة في لندن من خلال مجموعة من المحلات الصغيرة والمتنوعة في العاصمة البريطانية.. كان الثلاثة يحاولون الكسب الأكبر من خلال أنشطة مختلفة في الخليج.. وتحديدا في الإمارات العربية.. وخاصة في دبي.

إننا لو قفزنا عدة سنوات إلى الأمام سوف نتأكد من حجم ونوع العلاقات التي كونها الإخوة الفايد في الإمارات. وهو ما تثبته برقية أرسلها الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات إلى محمد الفايد في مايو ١٩٨٩ حين حكم له مجلس اللوردات البريطاني بأحقيته في امتلاك محلات

"هاردوز".. لقد قال الشيخ زايد في البرقية: " تلقينا بسـرور بالغ نبأ القرار المنصف الذي جاء صـفحة ناصـعة لكـم، ووضع حدا لكل الأقاويـل والمحـاولات المغرضـة التـي استهدفت النيل من مكـانتكم، وحرمـانكم ثمـرة كفـاحكم وجهودكم. وإنا إذ نبعث لكم بخالص تهانينا القلبية، أتمنى لكم مزيدا من التوفيق والنجاح، يفخر به أهلوكم ومحبوكم "

وإذا ما عدنا للوراء، حيث بدأت علاقة الفايد بـدبي، فإنه يقول: أنا الذي بنيت دبي، وليس عليكم إلا أن تسـألوا " كوستين " أو " برنارد صـلي ". وهـي أسـماء شـركات بريطانية. قالت إحداها فيما بعد أن محمد الفايد قد سـاعدها في الحصول على عروض أعمال في الشرق الأوسط، بلغت قيمتها قرابة بليون جنية استيرليني.. وقد كانت هذه الشـركة هي مجموعة " كوستين"

إن احتساب نسبة عمولة قد لا تقل عن ٥ في المائـة من قيمة هذه العقود، في أسوأ الأحـوال، مقابـل سمسـرة ووساطة، تعطي فكرة عن حجم الأموال التي جناها الفايد من هذه الصفقات وحدها.. فهي تبلغ نحـو ٥٠ مليـون جنيـه استيرليني.

والواقع أنه بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ كان محمـد الفايد قد دخل في عدة صفقات في مجال البترول، وحصـل على امتيازات عديدة في دول الخليج، وأعطى مجهودا كبيرا للعمل في مجال العقارات.. منحته كلها علاقات وثيقة مع آل مكتوم حكام دبي توجت في عام ١٩٧٥، حين تم بناء المبنى الفخم المعروف في دبي باسم مركز التجارة الدولي، وحصل محمد الفايد في ذلك الوقت على عقد إدارة المبني حتى عـام ٢٠٠٠.

ولسبب غير واضح فإن المبنـى الـذي يملكـه آل مكتوم، ويضم مكاتب إقليمية لشركات عالمية وبـه قاعـات للمؤتمرات والمعارض وأفرع الشركات.. صار فيما بعد هو نقطة الخلاف بين الفايد وآل متكوم، حين قـررت الأسـرة الخليجية فجأة إلغاء عقد الإدارة وسحبه من الفايد.

في هذا الخلاف طالـب الفايـد ٤٠ مليـون جنيـه استرليني كتعويض، ورفع الأمر إلى غرفة التجارة الدوليـة طالبا التحكيم.. وهدد في عام ١٩٩٥ بأنه سوف يطالب إتمام الحجز على نحو ٨٠٠ فرس من الجياد الأصلية التي تملكها

عائلة آل مكتوم في بريطانيا، وتزيد قيمتها على بليون جنيـه استرليني.

لكن هذا التصعيد من جانب محمد الفايد، الذي كـان قد بلغ في هذه الفترة قوة بعيدة، قابله تصعيد آخر في داخـل دبي نفسها.. فبعد نحو شهرين من هذا أعلنت إمارة دبـي أن الشركات التجارية، التي يملكها محمد الفايد ارتكبت مخالفات قانونية، تسوتجب عدم التعامل معها مـن مختلـف الـدوائر والمؤسسات الحكومية المحلية والاتحادية لأن وجودها فـي الإمارت غير شرعي.

كان من الواضح أن النزاع لم يعد قاصرا فقط علـى إدارة المركز الدولي للتجارة والذي يتكون مـن ٣٩ طابقًـا، وإنما امتد ليشمل أنشطة أخرى يمارسها الفايد في دبي. ذلك أن ناطقًا صحفيا قال: " إن شركة " دبي للتجارة والائتمـان الخصوصية المحـدودة" وشـركة انترناشـيونال مـارين سيرفيسز" تعملان في دبي بشكل غير صحيح، وقـد أبلغـت الدوائر الحكومية المعنية بعدم شرعية وجود تلك الشـركات في الإمارات، في الوقت الذي حاولت فيه التلاعـب علـى

القانون عبر عملية نقل ملكيتهـا إلـى المـواطنين بشـكل صوري".

في هذه الأثناء – أي في عام ١٩٩٥- كان القـانون قد تم تعديله في الإمارات؛ بحيث لا يكون من حق الأجنبـي أن يملك كافة أسهم الشركات في الدولة، ويشترط أن تكـون ملكية الإماراتيين تبلغ نسبة ٥١ %. والذي حدث من وجهـة نظر دبي أن شركات الفايد قامت بهذا بشكل صـوري " إن شركة دبي للتجارة والائتمان الخصوصية المحدودة أخفقـت في تعديل أوضاعها وتم فقط تحويل أسهم بمبلغ نصف مليون درهم إلى ملاك من الإمارات، بينما يبلغ رأس مال الشركة ٣ ملايين درهم. استنادا إلى الحسابات الختامية للشركة. بـل إن عملية نقل الحصص إلى مواطنين من الإمـارات تمـت بشكل صوري في محاولة واضحة للتلاعب والالتفاف علـى قانون الشركات، مما ترتب عليه أن كل الرخص الصـادرة للشركة والشركات التابعة لها تعتبر غير صالحة، لتمكين هذه الشركات من العمل في الإمارات"

ليس هذا فقط، بل أيضا: " إن شركة إنترناشـيونال مارلين سيرفيسز الأجنبية المسجلة في بنما ليس لها وجـود

شرعي في الدولة، لأنها لا تمتلك ترخيصا تجاريا خاصا بها، لأن شركة دبي للتجارة والائتمان الخصوصـية المحـدودة مكنتها من العمل في الدولة عبر إضافة اسمها بدون إصـدار ترخيص مستقل، وهو أمر يخالف ضـرورة تسـجليها فـي وزارة الاقتصاد والتجارة وحصولها على ترخيص بمزاولـة العمل في الإمارة المحلية التي تمارس بها نشاطها"

ولكن ما فائدة كل هذه القصة هنا؟

إن الفائدة واضحة، فعلى الرغم من أنها تكشف مـن جانب صراعا من نوع خاص بين الفايد وعائلة المكتوم، إلا أنها كذلك تؤكد أن جزءا هاما من ثروة محمد الفايد قد تكون من العمل في دبي قبل أن يشتعل الخلاف. وهناك كانت لـه أعمال في مجال التجارة والعقارات والتسهيلات البحريـة.. وكان لديه في كل شركة من الشركتين المذكورتين نحو ٨٠٠ موظف، أي بإجمالي ١٦٠٠ موظف.. بخلاف عقـده الـذي كان يدير به مركز التجارة الدولي.. سبب الخلاف الأصلي. وكبرت الخميرة..

زاد حجم الثروة .. تضخمت. وبانت بسرعة فائقـة علامات التضخم حين امتلك محمد الفايد جزءا مـن أسـهم

شركة " لويزهو" التي يملكها تيني رولاند رجـل الأعمـال البريطاني الذي صار فيما بعد عدوا أكيدا ودائما لمحمد الفايد وإخوته. وقد أعطته هذه الأسهم الحق في أن يكون عضـوا في مجلس إدارة الشركة..لكنه وبعد عام واحد انفصل عـن هذه الشركة بسبب خلافات مادية. .بعد أن كان ثـاني أكبـر مالك أسهم في الشركة بما يقدر بنحـو ٤٠ مليـون جنيـه استرليني. في هذا العام بالتحديد، ١٩٧٥، أدرك محمد الفايد أن الثروة ليست هي كل شيء.. وأن الذكاء والخبرة والفطنة والعلاقات المتنوعة لا تكفي كي ينطلق بقوة أكبر في سـماء الأعمال.. ففي هذه الفترة كان أثرياء النفط يحظون بشـهرة كبيرة.. وكانت لهم كلمة مسموعة في الأسواق.. وحين تذكر أسماء العائلات الخليجية كان هذا يعني دائما أن المال جاهز وأن الصفقة سوف تتم – فلجأ إلى حيلة ماكرة خبيثة يمكن أن تعطيه بعضا من قوة السمعة التي يحصـل عليهـا أثريـاء النفط.. حيلة بسيطة جدا.. وهي إضافة حرفين إلـى اسـمه. حرفان فقط: ألف ولام. أي " آل" فصار الاسم الذي تستخدمه العائلة هو " آل " فايد.

من الناحية اللغوية، فـي العربيـة، لا تعنـي هـذه الإضافة الكثير.. لأن الحرفين " آل " هما أداة نسـب إلـى أسرة، ومن الناحية الرسمية في مصر لم تكن هناك مشكلة.. لأن التعاملات تتم تحت اسم " فايد " ولكن من ناحية أخـرى وفي أوربا فإن إضافة هذين الحرفين تعطي ثقلاً أكبر للاسم، بحيث يوحي أن أصحابه من عائلة عريقة، وممتدة ومتنوعة الشخصيات.

وقد كانت تلك نقطة هامة ومثيرة اسـتخدمت ضـد محمد الفايد في معركة هارودز، وكانت واحدا مـن أبـرز الاتهامات التي وجهها له تقرير وزارة التجارة والصناعة كما سوف يتضح فيما بعد بالتفصيل. لكن الأهم هنا هو أن الفايد دخل بـ " آل " هذه، وبمزيد مـن المـال والعلاقـات إلـى مساحات أرحب من النفوذ والقوة.. وهكذا ظهر اسـمه لأول مرة في عالم الأعمال الأوربي، وفي بداية طريـق الشـهرة كمشترٍ لواحد من أهم فنادق فرنسا..

كان هذا في عام ١٩٧٩، هذا العام الذي اتجـه فيـه محمد الفايد إلى الاستقرار التام في أوربا، حين تـزوج مـن سيدة فنلدنية أنجب منها أربعة أطفال.. ولدين وبنتين.. إخوة

عماد من أبيه. وكان الفندق المرموق في باريس والذي يحمل اسم " ريتس " معروفًا تماما في فرنسا، ولكنه يعـاني مـن خسائر جمة دفعت ملاكه لأن يعرضـوه للبيـع. واشـتراه الفايد.. فلم يتمكن من أن يحقق إنجازا كبيرا به.. لكنه بمضي الوقت أصبح واحدة من علامات مجده.. وصار فندقًا ناجحا لم يزل يملكه حتى الآن.. وبعد أن مات ابنه حين خرج مـن عشاء به مع الأميرة ديانا في سيارة إلى حـادث نفـق ألمـا المعروف.

وعلى الرغم من كل هذا فإن محمد الفايد وخلال ٣٠ عاما عاشها متواصلة في الخارج لم يكن يمارس أي نوع من الاستثمارات في مصر. وظل نشاط العائلة قاصرا فقط على شركة السياحة التي لها فرع في الإسكندرية وآخر في مصر. وبخلاف شائعات عن أنه عرض ١٥ مليون جنيـه لشـراء فندق سان استيفانو منذ سنوات.. فإنه لا يمارس أي نشاط في مصر.. وبقى اسمه يتردد فقط بين حين وآخر حين يشـتري أو يبيع بيتًا وحين تتحدث الصـحف كثيـرا عـن تبرعاتـه للمصريين.

إنه- أي الاسم - ذكر قبل سنوات حـين قيـل أن محمد الفايد عرض قصره للبيع. وفي رواية أخـرى حـين عرض أشرف مروان التوسط لبيعه لآخرين. ولكن القصـر كما هو ملك للفايد.. وقد ذكر الاسم حين بنت العائلة ثـلاث فيللات فاخرة لنفسها في منطقـة شـاطئ الفـردوس فـي العجمي.. لا يزروها محمد الفايد كثيرا. إذ أنه لم يحضر إلى مصر منذ نحو ١٥ سنة.

وعلى جانب آخر كان اسمه يذكر بين حين وآخـر حين يقدم تبرعات لبعض الناس، أقل كثيرا، بل ولا تقـارن بما كان يقدمه من تبرعات في بريطانيا – راجع فصل عملية التجميل – وفي هذا السياق أسس الفايد جمعية اسمها جمعية آل الفايد للخدمات الاجتماعية في الإسكندرية. وفـي هـذا السياق أيضا ثار صلاح الفايد في أبريـل ١٩٩٦ حـين لـم يصله خطاب من رئيس الوزراء المصري بقيمـة تبرعـات قدمتها الأسرة للمصريين.

وأرسل صلاح الدين على الفايد خطابا بهذا المعنـى إلى جريدة الجمهورية.. قال فيه: " في نوفمبر عـام ١٩٩٤ ومن واقع إحساسنا بالمسئولية تجاه أبناء وطننا العزيز قدمنا

إغاثة عاجلة لمنكوبي السيول على طائرة خاصـة وتشـمل التبرعات ٥ آلاف بطانية و ٢٠٠ خيمة إيواء قيمتها مليـون و٤٤٥ ألف جنيه. ومنذ إرسال التبرعات ونحن نطالب مكتب رئيس الوزراء بإعطائنا ما يثبت هذا التبرع كي نقدمه إلـى مصلحة الضرائب لخصم القيمة من الضرائب المستحقة على شركتنا " دي كاسترو للسياحة " إخوان فايد. دون جدوى. إن شركتنا لها فروع في القاهرة والإسكندرية وهي تعتبر مـن أقدم الشركات السياحية في مصر خاصة إنها تحمل تصريحا رقم ٥٢ من وزارة السياحة وتحمل من شركة مصر للسياحة رقم (١) ومع ذلك سبق الحجز عليها وعلى حسابات أموالها بالبنوك منذ ٣ سنوات عندما أحضرنا ألف كرسي للمعـوقين و ٥٠٠ ماكينة لغسيل الكُلى تبرعا للمرضى. ولم تقدم الدليل على أنها معدات متبرعين وليست للبيـع.. وبعـد أن أثبتنـا التبرع.. تم رفع الحجز .. وقد استغرق ذلك عامـا كـاملاً. وأضاف: في مارس ١٩٩٥ أرسلنا طائرة خاصـة بـ ـ ٥٠ قميصا واقيا من الرصاص بناء على طلـب اللـواء رءوف المناوى مدير الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام بوزارة الداخلية. وقد وصلت القمصان بعد ٢٤ سـاعة فقـط مـن

طلبها.. خاصة أن اللواء المناوي أخ عزيز ولا أتأخر أبـدا عن تلبية طلبه. ومع ذلك وحتى الآن فلم يصلني مـا يفيـد تبرعي.

وقال في نهاية الخطاب: إنني لا أطلب الشكر علـى أداء الواجب نحو وطني. ولكنني أطلب تقديم الأوراق الدالـة على التبرع إلى مصلحة الضرائب إذا تم الحجز علينا مـرة أخرى. وهنا أيضا أريد أن أشير إلى واقعة أخرى.. وهي أنه تم الحجز علينا استنادا إلى خطاب مـن مجهـول.. وهـو مصري يقيم في الخارج.. هذا المجهول هو للأسف الدكتور أشرف مروان الذي عين رئيسا للجالية المصرية بـانجلترا. وقد استغل هذا المنصب وأرسل خطابا مشابها إلى الضرائب في انجلترا كي تنال منا. ناسيا أن الداخل غير الخـارج.. و عندما فشل في تأليب " الضرائب الإنجليزية" حرض علينـا المجلات العربية الرخيصة التي تصدر بالخارج مستغلاً أنـه مساهم في معظمها. إنني نيابة عن إخوان " آل فايد " أطلـب من د. كمال الجنزوري رئيس الـوزراء إعطائنـا خطابـا موجها إلى مدير عام مأموريـة ضـرائب العطـارين أول

بالإسكندرية يثبت قيمة التبرعات التـي قـدمناها لمنكـوبي السيول لخصمها من الضرائب المستحقة علينا طبقًا للقانون.

التوقيع: عن إخوان آل فايد – صلاح الدين على فايد.

إن هذا الخطاب هام للغاية. وهو يكشف عن أمـور عديدة.. أبرزها الحجز على أمـوال الفايـد فـي مصـر. واستمرار الصراع بين أشرف مروان والعائلة. وهو يؤكـد مرة أخرى أن الفايد ليس لهم أي نشاط في مصـر.. سـوى شركة السياحة.. فهم لم ينشئوا مصنعا.. ولم يسـاهموا فـي شركة.. ولم يؤسسوا مشروعا.. وبقيت الأسرة تعمـل فـي الخارج بعيدا عن الداخل تماما.

لقد كانت قد نسيت الوطن تماما.. على الرغم من كل هذه التبرعات.

كان الإخوة الثلاثة يشترون فندق ريـتس والفنـادق تباع في مصر ولا يتدخلون لتقـديم أي عـرض. وكـانوا يشترون فندق" دوشتسر " في لنـدن ولا يقتربـون مـن أي مشروع في القاهرة.. بل كان الفايـد يشـتري قصـر " آل وندسور" ولا يقوم بأي شيء مماثل في مصر.

وقد اشترى الفايد هذا القصر الذي كان يعـيش فـي الملك المعتزل إدوارد الثامن بعد أن ترك عـرش بريطانيـا

ليتزوج من مطلقة أمريكية، وأنقذ القصر من مطرقة المـزاد العلني. قائلاً: " أنا فنان قبل أن أكون رجل أعمال.. وإنسان مثلي رأى النور في بلد جذوره الحضـارية عميقـة يهـوى بطبعه العيش في الماضي" وكان هدف الفايـد مـن عمليـة الشراء هذه أن يتقرب أكثر للبريطانيين، وخاض أن يخوض صراعا محموما هناك من أجل الجنسية. وكان هدفنا من ذكر هذه الواقعة أن نقول ما هو حجم ثروة محمد الفايد. خاصـة أنه حوله إلى متحف.. ولم ينس في هذه العمليـة أن يرسـل قائمة بمحتويات المتحف إلى الملكة إليزابيث ملكـة إنجلتـرا كي تختار ما تشاء من التحف التي تريدها مـن قصـر آل وندسور.. لكن الملكة لم تختر سوى لوحة زيتية تعود إلـى مجموعة الملك الراحل هنري الثامن.

وفي وقت آخر حققت علمية الشراء هذه غرضا آخر دعائيا، حين منح شيراك عمدة باريس وساما للفايـد تقـديرا على جهوده الفنية تلك.

ولم يكن هذا القصر هو آخر قائمة الأمـلاك. فهـي أيضا تضم عددا من الطائرات واليخوت في جنوب فرنسا..

وشاليهات في سويسرا. وقصورا فـي لنـدن. وقلعـة فـي اسكتلندا.. وأشياء كثيرة أخرى.. كلها خارج مصر.

ولكن كل هذه الأملاك وكل هذه الأنشطة، وكل هـذه الأعمال، وكل هذه المشروعات لم تفلح في أن تجيـب عـن السؤال السيف الذي سلط على رقاب العائلة حين دارت رحى معركة " هارودز "

٣

الثمرة المحرمة

- خُذ هذا السكين واذبحني

وكان مصدر الحملة على الفايد هـو دجال هندي شاب تحول إلى رجـل أعمال يسمع أغنياء بريطانيا كلامـه وينادونه بلقب: يا صاحب القداسة".

إنه رجل بشوش.. محمد الفايد..

هكذا يصفونه في بريطانيا. ولكنهم أيضا يضـيفون إلى هذا الوصف جزء آخر: " إنه رجل عنيد لا يتورع عـن أن يخوض أعتى المعارك" والمشكلة ليست في المعركة فـي حد ذاتها، وإنما هي في الأسلوب الذي سوف يدير به الفايـد هذه المعركة. وفي أنه لا يقبل الهزيمة. وفي أنه لن يتـأخر لحظة عن توجيه بعض الضربات تحت الحزام لو أتيحت له الفرصة. وفي أنه لا ينسى ثأره.. ويبقى دائما فـي انتظـار فرصة الانتقام إن المعركة معه سوف تكون قاسية.

ولكن أحدا لم ينتبه إلى معاركه قبل عام ١٩٨٤، فقد كانت معارك صغيرة، وبعيدة عن الأضواء.. لكنه حين ظهر على المسرح أمام كل المتفرجين في العالم، بطلاً لمعركة من النوع الضخم، أدرك الجميع أن هذا الرجل ليس عاديا.. إنـه من نوع خاص.. من نسيج مختلف.

ولم يكن السبب الوحيد لهذا الاستنتاج- أنه من نسيج خاص – هو فقط الأسلوب الذي اتبعه محمد الفايد كي يفـوز بمعركته تلك.. وإنما هو أيضا في هـدف المعركـة التـي يصارع فيها. فقد كان هذا الهدف محط أنظار العالم.. وليس

أنظار بريطانيا فحسب.. هذا الهدف كـان هـو محـلات " هارودز " درة المحلات فـي بريطانيـا.. وعلامـة لنـدن المرموقة.. وشارتها العريقة. التي بدا أنه من الصعب علـى البريطانيين أن يقبلوا بفوز أجنبي بها.. فهـي بالنسـبة لهـم الأهرام.. أو برج إيفل.. إنها ثمرة محرمة.. لا يجـوز لأي شخص من خارج الجنة الإنجليزية أن يقطفها.

وعلى قدر قيمة الثمرة كانت قسوة المعركة.. وكانت جولاتها المتعددة.. وكانت الأساليب والأسلحة العديدة التـي استخدمت فيها وكانت المدة الطويلة جـدا التـي اسـتمرت خلالها.. إذا امتدت إلى نحو ثماني سنوات كاملة.

إنها معركة لم تقف عند حد.. واتسعت جغرافيا مـن لندن إلى الإسكندرية. ومن قصر السلطان الفخيم في بروناي إلى مصلحة الأحوال المدنيـة بكـل تكـدس الأوراق فيهـا بالقاهرة. ومن الولايات المتحدة إلى إمارة " ليخشتاين".. ومن البنوك إلى كبرى الشركات.. ومن رئيسة وزراء بريطانيـا السابقة مارجريت تاتشر وابنها مارك.. إلى أشرف مـروان رجل الأعمال المصري وصهر الرئيس الراحل جمال عبـد الناصر.

لقد كانت معركة متعددة المسارح والأبطال.

وعلى قدر ذكاء كافة أطرافها خاصة محمـد الفايـد على قدر ما كان غباء الطرف المواجه لـه فيهـا.. تينـي رولاند.. الرج الذي حارب محمد الفايد سنوات طويلة كـي يعيد من بين يديه هذه الثمرة المحرمة.

" وتيني" هو اسم الشهرة – أو الدلع للدقة. وهو يعني الرجل المتناهي في الصغر. لكن الواقع يؤكد أن " تيني" لـم يكن رجل أعمال صغيرا.. وإنما حوت كبير، له خصـائص أفيال الأسواق، وصفات تماسيح بحيرات الأعمال، وسـمات أباطرة المال.. وتلك هي المميزات التي خاض بها المعركـة فعلاً قبل أن يظهر محمد الفايد على المسرح.. حين دفعه هو إلى الساحة وأعطاه سكينًا وقال له: اذبحني.. ثم راح يصرخ بعد ذلك محاولاً خطف السكين أو على الأقل النجاة منه.

كان " تيني" وحيدا تماما في السباق من أجل ثمـرة " هارودز ". ذلك أن كثيرا من المنافسين هربوا بعد أول لكمة حين حاولوا الحصول على هذه الثمرة المحرمة. ومن بـين هؤلاء المليونير الأمريكي دانيا لودفيك الذي كان يسعى فـي هذا الاتجاه.. لكنه بمجرد أن وضـع سـاقيه فـي بحيـرة

الصراع.. أدرك أنه نزل إلى مستنقع.. تغطيـه الأحـراش وتلعب في قاعة التماسيح والثعابين.. وتيقن أنه بأدواته سوف يخسر أكثر مما يكسب.. ففر بجلده.. وبقى تينـي رولانـد وحده.. ينتظر أن تهوى الثمرة وحدها فـي حجـره حـين تنضج، لا سيما أن حجره هذا متسع تماما.. فهو يملك ٣٠% من أسهم شركة " هاوس أوف فريـزر " المالكـة لمحـلات هارودز.

في هذه الأثناء كان " تيني" خارجا لتوه من معركـة فائزا. فبعد أن استمرت وزارة التجـارة البريطانيـة تحقـق لأكثر من خمس سنوات في مخالفات شركته " لونرو" أغلـق الملف وقررت الوزارة ألا تتخذ ضدها أي إجـراء.. وفـي نفس الوقت تمكن " تيني" من أن يحتل مقعد نائـب رئـيس مجلس الإدارة في شركة " هـاوس أوف فريـزر" مـدعوما بأسهمه العديدة.. وهو منصب جعله حاكما بأمره في شـئون الشركة في ضوء معاناة رئيس مجلس إدارتها السير " هيـو فرايزر" من أزمات شخصية، جعلته ألعوبة في أيدي " تيني"

إن الثمرة كانت تقول له " خذني" لكنه أبي واستكبر. ورفض إلا أن تأتي هي إليه.. ليس فقط لأنه أرادها بأقل قدر

من المجهود.. ولكن أيضا لأنه كان ينبغي عليه كي يأخـذها أن يدفع مبلغًا هائلاً من المال.. وهو كان لتوه قد وضع مائة مليون جنيه استرليني في اسـتثمار آخـر.. بينمـا أربـاح مجموعته " لونرو" لا تزيد على ٩٠ مليون جنيه اسـترليني في السنة. وحسب ما جـاء فـي كتـاب " الاسـتملاك " أو Takeovers " للصحفيين إيفان فالون وجيمس سرودز، فـإن " تيني" آثر أن يلجأ إلى حرب العصابات مع هارودز، بدلاً من أن يلجأ إلى الحرب الشاملة. وكان هدفـه هـو أن يسـتغل منصبه ونصيبه في الأسهم في اتجاه الضغط على أعضـاء مجلس الإدارة... خاصة الذين يناوئونه.. لإصدار قـرارات تصب في جيب مصالحه.. وتجرد أعداءه من أسلحتهم.

لكن الحسابات في مرحلة الحصاد خالفت مـا كـان يتوقعه تيني حين زرع. بمعنى آخر فإنه كان يزرع الأرض قمحا فإعطته شوكًا. وكانت النتيجة هي أن تماديه في حرب الاستنزاف خلق شعورا من عدم الثقة بينـه وبـين أغلبيـة أعضاء مجلس إدارة الشركة. وكان من نتيجة هذا أن اتجـه هيو فرايزر رئيس مجلس الإدارة إلـى معسـكر أعدائـه.. لاسيما أن " فرايزر" هذا من عائلة اسكتلندية، لم تكن ترغب

في أن تخرج الشركة من نطاق نفوذها. وخاصة أن والـدة " هيو فرايرز" ضغطت على ابنها في نفس الاتجاه وبكل مالها من سطوة عليه. ودارت معركة سميت في ذلك الوقت فـي الصحف البريطانية " بالحرب القذرة" .. خاصة أن " تينـي رولاند" لجأ إلى أسلوبه المعروف في التشـهير بعـدد مـن الشخصيات المرموقة في ميادين المال والسياسـة والتجـارة والتي يمكن أن تكون قد لعبت دورا فـي المعركـة.. لكـن الحرب انتهت في هذه الجولة بخسارة فادحة لتينـي رولانـد الذي نحى تماما عن موقعه كنائب لـرئيس مجلـس الإدارة، وعين بديل له يضمن استمرار سيطرة عائلة فرايـزر علـى المؤسسة.

الذين كانوا يتابعون ما يدور قالوا وقتها أن " تينـي" خسر " هارودز" إلى الأبد. لكنه كان قد قـرر أن يخـوض المعركة حتى آخر نفس. ولف ودار وجمع وطرح. ثم أعلن أمام مجلس الإدارة والعالم كله في عام ١٩٨١ إنه يريد شراء المؤسسة بـ ٢٣٠ مليون جنيه استرليني.

لقد بدا هذا العرض كضربة قاضية، لاسيما أن السعر الذي قدمه "تيني" وهو ١,٥ جنيه للسهم، يزيد علـى السـعر

الرسمي المعلن بكثير ومن هنا لم يكن في استطاعة مجلـس الإدارة أن يرفض العرض. إلا أنـه – أي مجلـس الإدارة- قرر أن يلجأ لأسلوب آخر.. يؤجل به موعد قطف رولانـد للثمرة المحرمة. فأحيل عرض رولاند الذي قدمه من خـلال شركة " لونرو" إلى " لجنة مكافحة الاحتكار" وكان الهـدف هو شراء الوقت من أجل البحث عن مخرج.

هذه اللجنة قررت أولا تجميد عرض " تيني" ثم بعـد عشرة أشهر من الدراسة فوجئ الجميع بهـا تقـرر نتيجـة واضحة.. وهي " أن الموافقة علـى هـذا العـرض تخـل بالمصلحة العامة".. وبالتالي رفض العرض.. وفوق كل هذا تم اتخاذ قرار بأن يفرض على " تيني رولاند" ألا يزيد على حصته المملوكة له بالفعل في المؤسسة وهي ٢٩,٩% مـن الأسهم.

لقد كان القرار الأخير صدمة. بل هوجم حتى مـن أعداء تيني رولاند نفسه. إلا أنه في النهاية جـرد " الرجـل المتناهي في الصغر" من أسلحته.. وأبقاه محاصرا.. وفـتح الباب لظهور محمد الفايد على مسرح الأحداث.

كان محمد الفايد يعرف تيني رولاند بالطبع. ففي عام ١٩٧٥ كان محمد الفايد قد اشترى ٢٠% من أسهم شـركة " كوستين" التي تتبع شركة " لونرو" والتي كان تيني وقتها هو مديرها التنفيذي. لكن خلافًا ماليا بين الاثنين أدى في النهاية إلى خروج الفايد وبيع حصته في الشركة.ونشوء قطيعة بين الطرفين استمرت عدة سنوات. لكن محمد الفايد هـو الـذي كسر حاجز هذه القطيعة في عام ١٩٨٢.. فبعد أن اشـترى فندق " ريتس" في باريس بـ ٩ ملايين جنيه إسترليني وأنفق مع إخوته خلال ثلاث سنوات مبلغًا ممـاثلاً علـى إعـادة تجديده.. قرر الفايد أن يطبع أجندات للدعاية باسم الفنـدق، بماء الذهب، ويرسلها إلى زبائن الفندق على سبيل الدعايـة، وكان أصل وصلت واحدة من هذه الهدايا إلى تيني رولاند.. وكان أن اتصل تيني بالفايد يشكره.. وعـادت الميـاه إلـى مجاريها.. وبل تدعمت العلاقات بين رجل الأعمال الطموح الذي يبحث عن الجنسية البريطانية وهو الآتي مـن أصـل مصري ورجل الأعمال الذي حصل بالفعل علـى الجنسـية البريطانية وهو من أصل ألماني.

في غضون هذا كانت الأوضاع في " هاوس أوفـر فرايزر" تتطور إذا تمت تنحية السير هبو فرايزر عن موقعه كرئيس لمجلس الإدارة، وحل مكانه رونالد سميث، ورفـض حاملو الأسهم خطة تقدمت بها شركة تيني رولانـد لتعـويم محلات هارودز بعيدا عن هاوس أوف فرايزر.. أي فصـل هذه عن تلك.. وفشلت خطة جديـدة مـن "تينـي" لإدخـال مجموعة من المديرين يمثلون شركته في شـركة " هـاوس أوفر فرايزر" وهنا قرر " تيني" الالتفاف على كل هذه الخطط وعلى قرار لجنة مكافحة الاحتكارات عبر صديقه " المجـدد" محمد الفايد.

كان ليل لندن باردا للغاية في مساء يوم ٣١ أكتـوبر عام ١٩٨٤ حين اجتمع تيني رولاند مع محمد الفايـد فـي مكتبه بمنطقة " بارك لايز" الراقية. وفاجأ " تينـي" مضـيفة بعرض مغر: " لماذا لا تشتري أسهمي في شـركة هـاوس أوفر فرايزر!" وسأل الفايد عن الثمن. فطلـب تينـي ١٣٨ مليون جنيه استرليني أي بسعر ٣ جنيهات للسهم. وهو مـا يعني أنه إذا وافق الفايد فإن تيني يكون قد حقق مـن هـذه الأسهم أرباحا تصل إلى مائة بالمائة.

وكان كل من الاثنين يفكر في طريـق هدفـه ضـد الآخر تماما. فمن ناحية كان هدف " تينـي" هـو أن يبتعـد بأسهمه عن عيون لجنة الاحتكار. بحيث يشـتري الفايـد.. ويرفع نسبة الأسهم..ثم يعيدها إلى تيني. وكان هدف الفايـد هو أن يشتري بالفعل.. فمن ذا الذي يرفض امتلاك نصـيب في هذه الشركة التي تملك محلات هارودز إذا كـان يملـك المال.

وخرج تيني رولاند من مكتب محمد الفايد وقد اتفق معه على أن يدبر قيمة الصفقة في خلال ٤٨ سـاعة لكـن الفايد الذي أخذ السكين من يد تيني سارع وأعطى أمرا للبنك الذي يتعامل معه. بنك " كلاينويرت بتسون" .. وتم تجهيـز المال في خلال ٢٤ ساعة فقط. ولم ينتبه تيني رولاند إلـى هذه السرعة، خاصة أن الاتفاق الذي بينهما كان قد تم فـي سرية وبعيدا عن أية أضواء.

وظهرت نوايا محمد الفايد بسرعة أكبر، وبشكل لـم يكن يتوقعه تيني رولاند الذي بنى حساباته علـى أن محمـد الفايد ليس لديه من المال ما يكفي لكي يحول دفة المعركة في

ناحيته.. ومما زاد من عوامل اطمئنانه أنه اعتقد أن مجلـس الإدارة لن يوافق أبدا على أن تباع الشركة لمواطن أجنبي.

وأطلق الفايد الطلقة الأولى. وطلب حقه في أن يحتل موقع تيني رولاند في مجلس الإدارة. وأن يحتل أخوه علـى موقع مساعد تيني وفوجئ تيني رولاند بهذه الخطوة. وأعلن في الصحف أنه يرغب في شراء أسهم الشركة من السـوق كي يحافظ على موقعه في المجلس.

وفي خلال أسبوع واحد كان قد دفع ٢١ مليون جنيه استرليني لشراء ٤,٥% من أسهم الشركة. وخـلال أسـابيع كان قد بدأ يزيد من حصته مرة تلو الأخرى.. بينمـا كـان محمد الفايد متفرغًا لتوطيد علاقاته مع أعضاء مجلس الإدارة الذين تصوروا لأول وهلة أنه ليس إلا واجهة تتحـرك فـي اتجاه تحقيق مصالح تيني رولاند. وإعادته إلـى المؤسسـة بشكل غير مباشر أقوى مما كان.

ولم ينتبه تيني رولاند إلى أن كل هذا التصعيد الذي يحدث يخدم مصالح محمد الفايد.. ويزيد من حـدة السـكين الذي صار بين يديه. فبعد أن نجح محمد الفايد وأخوه علـى في إبعاد تيني رولاند ومساعده عن مقعديهما فـي مجلـس

الإدارة كان الفايد قد أعلن بالفعل فـي بدايـة عـام ١٩٨٥ عرضا كاملاً لشراء مؤسسة " هاوس أوفر فرايـزر" مقابـل ٦١٥ مليون جنيه استرليني، أي ما يزيد على المليـار دولار بأسعار هذا الوقت.

وقد خدمت الظروف وتيني رولاند عرض الفايـد.. فجعلته مقبولاً.. ويحظي بالموافقة.. لعدة أسباب.

ففي مجلس الإدارة كانت هناك موافقة لأن الأعضاء تأكدوا تماما من أن ما يحدث ليس تمثيلية، وأن دخول الفايـد إلى المؤسسة يعني خروج تيني منها نهائيا. وفي الأوسـاط المالية والتجارية كان هناك كثيرون يحبذون هذا العرض لأن معركة " هاوس أوف فرايزر" قد سببت لهم صداعا اسـتمر وقتا طويلاً. بل إن هناك من كان يمكن أن يوافق علـى أن يحصل تيني رولاند نفسه على هذه الصفقة رغم قرار لجنـة مكافحة الاحتكارات إذا كان هذا يؤدي في النهاية إلى إيقاف كل هذا الضجيج. ومن جانب آخر كانت الحكومة ترحب هي أيضا بعرض الفايد.. لأنه تقدم لشراء المجموعة كلها، بمبلغ كبير، في وقت اشتدت فيه أزمة الجنية الاسترليني وهو مـا يعني أن قبول العرض سوف يؤدي إلى تقوية مركز الجنيه..

فضلاً عن أن الحكومة ذاتها تريد ساحة هادئة وخاصة أنهـا مقبلة على انتخابات عامة بعد سنة واحدة.

وثار تيني وهاج. وتقدمت الشركة التـي يملكهـا "لونرو" بطلب تحويل عرض الفايـد إلـى لجنـة مكافحـة الاحتكارات. كما حدث من قبل مع العرض الذي تقدمت بـه شركته. وطلب وزير التجارة في ذلك الوقت نورمان تيبـت فرصة أسبوع كي يأخذ قرارا في القضية. وكان معنى هـذه الفرصة في عالم المال الذي للوقت فيه قيمة كبرى أن الوزير يعطي محمد الفايد ضوءا أخضر كي يتحرك بسرعة. وهـو ما انتبه له الفايد فعلاً.. ونزل إلى السوق بكل قوتـه ورفـع حصته في الأسهم خلال أسبوع إلى ٥٠%.

المثير أن تيني رولاند الذي بدا وكأنه متأكـد مـن رفض عرض الفايد باع نسبته خلال هـذا الأسـبوع للفايـد نفسه. وتخلى عن ٤,٥% من الأسهم. وهـو مـا يعنـي أن شركته كانت صاحبة الفضل الأكبر فـي فـوز المليـارديير السكندري بالصفقة.. ومنحه فوق السكين الأول سكينًا آخر.. وبدا وكأن كل أسلحة الفايد قد خرجت في نعومة من ترسانة تيني رولاند لتوجه إلى صدره مرة أخرى.

هل تورط تيني في هذا الوضع بسـبب الغبـاء؟ .. ربما.. هل بسبب الغرور والثقة الزائدة؟.. ربما.. هل بسبب معلومات خاطئة وتوقعات غير صائبة عن ثـروة الفايـد؟.. ربما وربما كانت كل هذه الأسباب مجتمعة.. أيضا.

المهم أن الثمرة المحرمة صارت في معـدة محمـد الفايد... وليست في يده فقط.

والمهم أيضا أن تيني رولاند قد دخل المعركة مـن جديد بحثًا عن هذه الثمرة التي ضاعت. وبدأ حملة شـعواء وعشواء في كل اتجاه.. هدفها الوحيد إثبات أن هـذا المـال الذي تم دفعه ثمنًا للمؤسسة ليس ملكًا للفايـد.. وإنمـا ملـك لسلطان بروناي الذي يعمل الفايد معه..

هذا الإدعاء الذي أطلقه تيني رولاند لو صـح كـان كافيا لأن يقضي على كل أحلام الفايد في الصفقة – بل على مستقبله في الأسواق البريطانية. ومن هنا فإنه دخل المعركة بكل قوته، ليس فقط لأنه يريد هارودز، ولكن كذلك لأنه يريد الحفاظ على نفسه.. ويمكن تقدير حجم الخسائر التـي كـان يمكن أن يعاني منها الفايد في المستقبل لو أنه خرج من هذه المعركة مهزوما، إذا قارنا ذلك بما يعانيه هو حتى الآن على

الرغم من انتهاء المعركة وخروجه منها منتصرا.. " راجـع فصل عملية التجميل" ومن المؤكد أن تيني رولاند كان يدرك ذلك، وخاض الصراع بكل قوته وبكل ما لديه من أسـلحة.. وبناء على الفرضية التي أعلنها فـي البدايـة، راح يحـاول البحث عن دليل، أي إثبات أن هذا ليس هو مـال الفايـد.. خاصة أن غريمة كان قد خرج لتوه من صفقة مشابهة قـام فيها بدور " الستار" لسـلطان برونـاى.. صـفقة فنـدق " دوشتسر".. " راجع أيضا فصل الرجل الخفي"

وقدم محمد الفايد مـن خـلال مستشـاره المـالي " كلينورت بنش" ملفًا كاملاً حول موقفه المالي الذي يسمح لـه بشراء " هاوس أوف فرايزر" بطريقـة قانونيـة وسـليمة. وتحدث الملف عن أن " عائلة الفايد من كبار مالكي السـفن في التجارة البحرية" وقالت الأوراق التي قدمت إلى مكتـب تجارة البائع والمنتج" أو. إف. تي" أن شركة الفايد البريطانية " جينافكو" مستقرة تماما. وأن العائلة المصرية تملك الأصول التابعة لشركة " بلازا روكفلر" الشهيرة جدا في نيويورك.

وعلى الرغم من أنه اتضح فيما بعد أن عديـدا مـن هذه المعلومات لم يكن سليما إلى حد بعيـد، إلا أن الصـفقة

تمت. وبعد أن قرر وزير التجارة في مارس ١٩٨٥ أنـه لا يوجد في ملف الصفقة ما يدعو إلى إحالة الموضوع إلـى " لجنة مكافحة الاحتكارات" ... جاء وزير تجارة تـال هـو " ليون بريتان" في نوفمبر ١٩٨٥ يرفض التماسا قدمه " تينـي رولاند" على أوراق شركة " لونرو" يطلب فيه إعادة النظـر في بيع " هاوس أوف فرايزر" للفايد.

كان من الواضح أن هناك أطرافًـا حكوميـة تريـد للصفقة أن تتم بأي شكل.. وقد حدث هذا.

ومن هنا جن جنون تيني رولاند. فقد بـدا الجميـع أمامه وكأنهم اتحدوا ضده.. إذ كيف يقبل قبل عـدة أشـهر الاتهام بالاحتكار حين حاول هو شراء المجموعة ويـرفض الآن اتهام من نفس النوع يوجهه هو إلى الفايـد. وكـان أن تخطت اتهاماته سقف سلطان بروناي. وكان أن شن هجمـة شرسة على رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر مستغلاً الحملة التي تشنها الصحافة ضدها على ابنها مارك.. وراح يؤكد أن رئيسة الوزراء متواطئة لأن هناك مصالح مشتركة بين ابنها وبين محمد الفايد.. والدليل هو رحلة سرية قام بهـا مـارك تاتشر على طائرة محمد الفايد الخاصة إلى سلطنة بروناي..

ثم وفى مرحلة أخرى أقحم اسم الرئيس حسني مبارك وقـال أنه حين اجتمع مع رئيسه الوزراء البريطانية في منتصـف الثمانينيات تباحثًا في شأن الصفقة وأن الرئيس دعم موقـف الفايد على حسب ادعاء صحيفة الأوبزرفر.. ولم يكن هـذا صحيحا.

واستخدم تيني كل الوسائل الممكنة لإنجاح حملته.

ففي عديد من المرات كانت تصل إلى مكتب مـدير أحد البنوك التي دعمت صفقة محمـد الفايـد باقـة زهـور صفراء، ومعها كارت بدون توقيع كتب عليه: " أيها الجبان" ..

بل لجأ تيني رولاند إلى الاسـتعانة برجـل أعمـال هندي شاب، يطلق على نفسه اسم " سـوامي" أي المرشـد، بينما اسمه الحقيقي هو شاندرا ماهاراج، اتضح أنه بدأ حياته منجما، ذاعت شهرته بين عناصر الطبقة الثرية البريطانيـة، حتى أنه صار مرشدا روحيا لعدد من الشخصيات، فصـار ينادي باسم "صاحب القداسة".. وكشفت صحف بريطانية عن انه كان يتلقى أموالاً طائلة من تينـي رولانـد كـي يمـده بمعلومات عن الفايد ومارك تاتشر وسلطان بروناي.

ووصل الأمر لدى تيني رولاند حد أنه كان مستعدا لأن يدفع أي مبلغ مقابل أن يمده أحد بأي شيء عن الفايد يدعم حملته، بل عرض مبالغ طائلة لمن يمكن أن يدله على أرقام حسابات سرية يقول هو أن محمد الفايد يملكها في إمارة ليخشتاين، وعرض مبالغ طائلة أخرى لمن يستطيع أن يقوم بتسجيل المكالمات التليفونية للفايد في بيته ومكتبه " راجع فصل الطفل المدلل"

ووصل نطاق الحملة إلى حد اتهام المشترين المصريين بأنهما يعاديان السامية، وقد سخرت صحيفة توداي تايمز من هذا قائلة لليهود: تذكر عند زيارتك المقبلة إلى لندن أن صاحب هارودز يكره اليهود، لكنه لا يعترض على تسوقهم من محلاته فالمكسب مكسب على أي حال"

وقد كانت أداة تيني رولاند القوية في هذه الحملة هي الإعلام، خاصة الصحيفة التي يملكها، وهي صحيفة " الأوبزرفر" المعروفة.. فقد جعلها تتخلى عن وقارها.. ودفعها إلى نشر شائعات عن أصول عائلة الفايد ومصادر ثروتهم.. ولكن الحملة سرعان ما توقفت بعد أن دفع الفايد

جيش محاميه إلى جرجرة " ألأوبزرفر" في المحاكم لتبـرئ نفسها من اتهامات التشهير.

ولكن صاحب الصحيفة أصر على إقحام الصـحيفة في الحملة.. وتبرم الصـحفيون.. فحاولـت إدارة الجريـدة إقناعهم بأن الحملة على محمد الفايد سوف تبقى قاصرة على الصفحات الاقتصادية التي لا يقرأها سوى عدد قليـل مـن الناس.

وفي نهاية عـام ١٩٨٥ تخيـل الصـحفيون فـي "الأوبزرفر" أن الحملة على الفايد قد لفظت أنفاسها، لأنه لـم يعد لدى تيني رولاند شيء جديد يمكن أن يقوله.. سواء كان صادقًا أو باطلاً.. لكن تيني الذي عاد في عـام ١٩٨٦ مـن عطلة رأس السنة التي قضاها على شاطئ " أكـابولكو" فـي المكسيك سرعان ما استأنف حملته ضـد الفايـد واسـتخدم الأوبزرفر من جديد.

وفي البداية أرسل إلى وزارة الصناعة كتابا مسـجلاً يتهم فيه رئيسـة الـوزراء مارجريـت تاتشـر بالانحيـاز السياسي.. ويقول أنها "على صلة بالفايد" وأنهـا " سـمحت لمؤسسة بريطانية بالوقوع في أيد أجنبية غير موثـوق فيهـا

ولا تتمتع بالخبرة التجارية الكافية" ثم أرسل تيني رولاند عدة خطابات متتالية إلى مارجريت تاتشر نفسها يطالبهـا فيهـا " بتصحيح هذا الخطأ الجسيم". لكن هذه الرسائل لم تتلـق أي رد.. فكان رد فعل تيني رولاند هو أن يشن حملة جديدة ضد الفايد وتاتشر نفسها.

وكان أن أعاد تيني قصـة مـارك تاتشـر والفايـد وسلطان بروناي.. فاعترض الصحفيون فـي الأوبزرفـر. وحاولت الإدارة إقناعهم. لكنها فشلت.. فالقصة بلا مصادر. ورولاند لا يريد حتى نشر تعقيب عليها من الفايـد أو مـن مارك تاتشر.. وكان أن أملي هـو القصـة علـى رئـيس التحرير.. فنشرها في الصفحة الأولى.. وكانت النتيجة هـي أن "الأوبزرفر" دفعت تعويضا قدره خمسة ملايين دولار.

والتزمت مارجريت تاتشر الصمت. وهـو اختيـار التزمت به من قبل حين زعمت " الأوبزرفر" نفسها أن ابنها حصل على عقد من سلطنة عمان بعد أن زارتها مارجريـت تاتشر نفسها. وهو ما يعني اتهاما بأن تاتشر تعمـل لصـالح ابنها.

وكان أن نجح الفايد في كسب تاتشر إلى جانب صفه حين استجاب فورا لطلب قدمته إليه بدعم الجنيه الاسترليني.. فأقنع الفايد سلطان بروناي بأن يقوم بعدة إجراءات تحقق هذا الغرض.. ونجح الملياردير المصري في كسب نقطة جديدة. لكنه في نفس العام خسر نقطة أخرى حين قـررت محكمـة بريطانية رفض طلبه بإيقاف الأوبزرفر عن نشر الاتهامـات ضده.

حتى هذه اللحظة كان الصراع القضائي بين الجانبين قد بدأ يكلف خزانة كل من الفايد وتيني رولاند أرقاما فلكية.. ففي عام ١٩٨٥ وحده دفع الفايد للمحامين ٣ ملايـين جنيـه استرليني. وهو مبلغ قال هو عنه" إنه باهظ بما فيه الكفايـة، لكنه يعتبر ثمنًا صغيرا لإعداد الذخيرة فـي هـذا الصـراع المالي الضاري الذي لم يحدث مثله في التاريخ" وفي المقابل كان قد دفع تيني نحو ١١ مليون جنيه استرليني من ميزانية شركة " لونرو" لكي تستمر المعركة.. وهي تكاليف لم تكـن قاصرة فقط على القضايا.. لكنه رغم هذا خسـر فـي عـام ١٩٨٧ طلبا تقدم به إلى المحكمة العليا كـي تـدفع وزيـر الصناعة، لأن يعيد النظر في شراء الفايد لمحلات هارودز.

وحين فشل الاحتكام إلى السياسة والسياسيين وإلى أحكام القضاء.. كان الحل مرة أخرى هو الإعلام.. ولكن تيني لجأ هذه المرة إلى التليفزيون. وكان الضربة قوية وموجعة.. لمحمد الفايد.. ففي منتصف عام ١٩٨٨ تمكن تيني من أن يدفع جون بلندر الصحفي الاقتصادي البريطاني المرموق إلى أن يقدم برنامجا في القناة الرابعة البريطانية تحت عنوان " إمبراطورية الفايد تحت الفحص". كانت نتيجته التي يريد الترويج لها هي أن " أعمال الفايد طيلة حياته لم تكن لتثمر الأموال الكافية لشراء هاوس أوف فرايزر، التي تبلغ قيمتها عدة بلايين من الدولارات..

في هذا البرنامج واجه الفايد اتهامات تقول أنه بالغ في حديثه عن الأصول التي وردت في ملفه حول تاريخه وثروته. فقال: إن الفايد لم يكن يملك سوى عبارتين.. وأن شركته في بريطانيا حين تمت صفقة هاوس أوفر فرايزر كانت تسجل خسائر عديدة خلال ثلاث سنوات وحين حققت أرباحا لم تكسب سوى خمسمائة ألف جنيه استرليني في عامين. وقال أن عائلة الفايد لا تملك بلازا روكفلر في نيويورك وإنما هي استأجرته، وأن من حق مؤسسة "

ونركويو نيكاشين" أن تشتريها بين عامي٢٩و ١٩٩١. وقال أيضا إن فندق ريتس الذي تملكه الأسرة في باريس لم يحقق أرباحا تساوي ثمن الصفقة.. أو حتى ما يقترب منهـا. وأن الفايد لم يكن سوى بائع كوكاكولا وماكينـات خياطـة فـي الإسكندرية.

وتألم الفايد من هذه الضربة.. فراح يدافع عن نفسه.. وبينما كان يفعل هذا راح أيضا يهاجم مقدم البرنـامج الـذي كتب مقالاً بمضمون برنامجه في جريدة فاينانشـيال تـايمز الاقتصادية المعروفة.

لقد قال الفايد أنه كان يملك فعلاً عبارتين، ولكن عبد الناصر، الزعيم الراحل أمم أملاكه. وتحدث عن أعماله فـي دبي.. وزعم أن جون بلندر قابل مسئولين في شركات مثل " كوستين" و " برنارد صلى" للإنشاءات وقالوا لـه عبـارات لصالحه لكنه لم يذع هذه المقابلات، وقال إنه اقترض كثيـرا حين أصبحت مجموعة هاوس أوف فرايزر تحـت إدارتـه. واعترف مستشاره القانوني "ريستون ويب" بأن العائلة تخفي أي معلومة يمكن أن تساهم فـي تخفـيض الضـرائب. لأن

الشركة أسرية وليست مطالبة بأن تقدم معلومات عن النشاط إلى حملة الأسهم.

وحقق تيني رولاند رغم كل دفاع الفايد هذا ما هـو أكثر قيمة من المال. لقد كسب الـرأي العـام. خاصـة أن البرنامج تضمن مشاهد من حواري الإسـكندرية.. مشـاهد للأماكن الفقيرة والمعدمة التي جاء منها الفايـد.. وهـو مـا استفز مشاعر البريطانيين.. إذ كيف لهذا الرجـل الأجنبـي المعدم أن يقتحم مجتمعهم، ويحصل على رمزهم التجـاري وهو من أصول فقيرة.

لقد كان البرنامج نقطة تحول.

فبعد أسابيع أعلن اللـورد يـونج وزيـر التجـارة البريطاني تعيين خبيـرين لدراسـة صـفقة " هـاوس أوف فرايزر" الخبيران كونا لجنة وقلبا في كل الأوراق.. وسافرا إلى أماكن مختلفة وعديدة.. بل وصلا حتـى إلـى نـادي اسبورتنج في الإسكندرية حيث قلبت الـدفاتر وبحـث فـي أصول عضوية أبناء الفايد في النادي.. وحـين كـان مـن الصعب عليهم لقاء أحد بسبب مخاوف من استثارة مشـاعر السيادة المصرية – كما حدث في حالة وصول ضـباط مـن

البوليس البريطاني لتقصي تاريخ الفايـد – كـان الخبيـران يقابلان من يريدان من الشهود في مقر السفارة البريطانية في القاهرة أو في القنصلية البريطانية في الإسكندرية.

واستمر عمل الخبيرين ١٥ شهرا، وتكلف عملهمـا هذا نحو مليون جنيه استرليني.. وكانت النتيجة هـي ملـف كامل يتضمن ٧٥٠ صفحة من الحقائق التي قال الخبيـران أنها صحيحة عن محمد الفايد وأخويه.. لكن التقريـر ظـل جاثما فوق مكتب وزير التجارة حتى يحين الظرف السياسي المناسب.. وفي نفس الوقت تم اتخاذ قرار مزدوج ضد الفايد حتى تتلافى الحكومة مزيدا من الإزعاج الذي يسببه لها تيني رولاند.

وكان الجزء الأول من هذا القرار هو إحالـة ملـف الصفقة إلى مكتب مكافحة الاحتيـالات الماليـة الخطيـرة " S.F.O" وكان جزؤه الثاني هو إحالة نفس الملف إلى " لجنة الاندماج والاحتكار"

في هذا الوقت فسر هذا القرار المزدوج بوضـوح. فهو من ناحية يعني أن القضاء قد دخل إلى ساحة المعركـة بقرار حكومي حين تقرر أن تنظر لجنة " S.F.O" في شـأن

الصفقة. وهو ما يعني أن ثبوت حدوث مخالفات، خاصة من جانب البنك الذي دعم الفايد، سوف تكون نتيجتـه أحكامـا بالحبس والغرامة. ومن ناحية أخرى فـإن لجنـة مكافحـة الاحتكارات يمكن أن تدفع آل الفايد إلى التخلي عن ملكيـتهم في مؤسسة هاوس أوف فرايزر تحت بند حماية المصـلحة العامة، وإعادة هذه الملكية في الأسواق أو الاحتفاظ بها حتى يظهر مشتر آخر.

وعلى الرغم من أن محمد الفايد بدا في هذه اللحظات مرعوبا خاصة حين اعترف بأن هناك مبالغات فـي أوراق ملفه سببها محاولة مؤسسة العلاقات العامة التي تعمـل لـه، تحسين صورته بأي شكل.. إلا أن من تابع هذه القصة فـي تلك الفترة رأى أن الحكومة إنما اتخذت هذا القـرار كـي" تلهى" النقاد والخصوم السياسيين بعيدا عنها.. ولفتـرة مـن الوقت.. يكون خلالها المؤتمر السنوي لحزب المحافظين قـد انتهى بسلام. خاصة أن " لجنة مكافحة الاحتكار" أعلنت أنها لن تصدر قرارها في وقت قريب.

في هذه الأثناء وضع الفايد يده على قلبه.

إذ لم يتوقف الأمر على هذا القرار المزدوج فقـط. وإنما امتد أيضا إلى أن المحكمة العليا البريطانية أصـدرت قرارا يلزم وزير التجارة اللورد يونج بأن ينشر نتائج التحقيق الذي أجرته اللجنة الثنائية، خاصة بعـد أن مضـت المـدة القانونية المقررة لاحتفاظه بالتقرير.. وهي ستة أشهر.

لكن الوزير الذي كان يدرك أن التقرير به فضـائح استأنف الحكم. وبدوره لملم الفايد نفسه وهدد بأنه لو أذعـن الوزير إلى قرار المحكمة سوف يرفع قضية ضـد الـوزير نفسه.. ثم عاد بعد أن ضرب ضربته الأولى وقرر أن يحيـد الوزير وقال إنه من جانب آخر سوف يتضامن مع الـوزير ويرفع طلبا لاستئناف حكم المحكمة العليا.

في غضون أسابيع قليلة كان الحكم التالي قد صـدر. ووقف ثلاثة من القضاة في محكمة الاسـتئناف فـي لنـدن بالقاعة رقم (١) أمام عشرات من الصحفيين الذين لم يجـد العديدون منهم موضعا لأقدامهم.. وتلوا الحكم: " إننـا نؤيـد اعتراض وزير التجارة اللورد يونج على قـرار المحكمـة العليا بالتزامه بنشر التقرير. ذلك أن هذا أمـر يعـود إلـى الوزارة نفسها.. ونحن نوافق على الطلب المقدم مـن وزارة

التجارة بإلزام تيني رولاند – المدعي في القضية الأولـى- بمصروفات القضية".

وفي مكتبة بالدور السادس في محلات هارودز وقف محمد الفايد يفرك يديه فرحا بالفوز الجديد.. ويتلقى التهـاني من أخويه على وصلاح.. وبينما كانـت تنهـال اتصـالات الأصدقاء والصحفيين.. بين مهنئ وطالب للاستفسار.. كـان أن تلقوا خبرا يؤكد أن الصراع لم ينته بعـد.. وأن الفـوز الكامل لم يحدث حتى الآن.. فقد أعلن تيني رولاند أنه سوف يصل بالقضية إلى هيئـة قضـائية أعلـى.. إلـى مجلـس اللوردات.

ولم تخل جعبة تيني رولاند مـن ضـربات أخـرى موجعة للفايد.

فبينما كان الملياردير المصري يقف أمام قسم اللحوم في محلات هارودز وقد وضع على صدره مريلة بيضـاء، وغطى رأسه ببرنيطة من نفس اللون، يتقمص دور الجزار، ويبيع اللحوم للزبائن أمام مصوري الصحف.. كانت الأسواق تتلقف كتابا جديدا، اعتبر جزءا من الحملة ضد الفايد..

هذا الكتاب، الذي خشي مؤلفه وناشره أن يضعا اسميهما عليه، وإن كان عليه اسم المطبعة، كان يحمل اسم "بطل من الصفر" قصة كلاينورت ومحمد الفايد. والأول هو اسم البنك الذي دعم الفايد، في صفقة هاوس أوف فرايزر. وقد كشف تيني رولاند عن أنه هو الذي يقف وراء الكتاب حين تصدرت مقدمة له الصفحات الأولى. وفي هذه المقدمة أعاد تيني كل الادعاءات والأوصاف التي قالها من قبل في حق الفايد... " قل لنا من أين لك هذا؟". "إنك مجرد سمسار وسيط لسلطان بروناي"."إنك تخالف القوانين والإجراءات البريطانية". "أنت رجل معدم". "إن الرجل الذي وافق في البنك على صفقة الفايد ارتفع راتبه إلى الضعف بعدها". "إنني لا أعترض على أن الفايد مجرد سمسار أو عميل سري للبنك ولكني أعترض على الغش". "إن الأمور التي حدثت مضحكة ومحرجة إذ كيف يرى وزير التجارة حين تمت الصفقة أنه لا يوجد بالمسألة أي خطأ"

ولم يقف الأمر عند هذا الكتاب.. فقد كان لدى تيني شيء آخر.. كانت لديه فيضحة للفايد.

وكان عنوان الفضيحة هذه المرة هـو: "الفرعـون المزيف" أو "الفرعون المحتال" أو "الفرعون الدجال".. حسب الترجمة التي يمكن صياغتها لمانشيت جريـدة "الأوبزرفـر" الذي كشف هذه الفضيحة: Phoney Pharaoh

كان الأمر مثيرا للغاية في ذلك اليوم في بريطانيا. إذْ أنها المرة الأولى التي تصدر فيها الصحيفة عددا خاصا مـن هذا النوع، بعد أن أصدرت عددها العادي.. صـحيح أنهـا فعلت ذلك من قبل حين أعلنت الحرب العالمية الثانية، وحين أعلن استسلام دول المحور، وحين أوقف إطلاق النـار فـي الحرب نفسها، وحين اشتعلت حرب كوريـا، وحـين مـات تشرشل.. لكنها هذه المرة أصدرت عددا خاصا لأنها قررت أن تفضح الفايد.. وكانت طريقة الفضح هي كشف التقريـر الذي حكمت محكمة الاستئناف بأن من حق وزارة التجـارة ألا تنشره. وكانت مناسبة الفضيحة هي عقد المؤتمر السنوي لشركة " لونرو" التي يملكها تيني رولاند. وهناك تم توزيـع نسخ من الصحيفة حيث بدا أن المليونير الإنجليـزي يريـد إقناع المساهمين والموظفين بأن حملته سوف تنجح بالتأكيد.

وقامت قيامه الحكومة البريطانية، فـالتقرير الـذي تسرب ونشر ملخص له به الكثير، وهو بالتالي مـا جعلهـا تصدر فورا أمرا بسحب الجريدة من الأسواق.. وقد حدث.. وكان المبرر هو أن التقرير به وقائع يمكن أن تـؤثر علـى سير التحقيق في ملفات ينظر فيها القضاء.

ولكن الطلقة كانت قد خرجت مـن المسـدس فعـلاً وأصابت محمد الفايد رغم أنه لم يتعرض لأي شيء واضـح بسبب هذا التقرير.. لم يقدم للمحاكمة.. ولم يحاسـب.. ولـم يعاقب.. إلا أنه وكما يقول المثل المصري العامي تعـرض "لعيار ناري لم يصبه ولكن صم أذنيه"

والتقرير المذكور يتكون من ٧٥٠ صفحة.. ملـيء بالاتهامات لآل الفايد.. بل إنه سيرة حياة يراها النـاس فـي بريطانيا على أنها حقيقة، وسواء كان ذلـك صـحيحا أم لا. وسواء كانت الاتهامات دقيقة أو غير ذلك. فإنهـا يجـب أن تقرأ هنا لأنها جزء من القصة وتكاملهـا... إنهـا تتضـمن الآتي:

* إن الإخوة فايد قدموا شهادات ميلاد مـزورة وهـم يعلمون أنها مزورة.

* أنهم كذبوا في أصلهم لأنهم في الواقـع مـن أسـرة متواضعة الأصل، وهم أبناء مدرس بسيط، في حين أكدوا أنهم من أسرة عريقة مـن أكبـر العـائلات المصرية، وأنهم كانوا يملكـون شـركات ملاحيـة وأراضٍ زراعية، ومصانع لأكثر من مائة عام.
* أنهم غيروا اسمهم من فايد إلى آل فايد.
* تأكد أن ادعاءهم بأن لهم أصـولاً بريطانيـة غيـر صادق.
* أنهم لم يشتروا اليخت " دودي" على اسم ابن محمـد الفايد.. إلا في الستينيات وليس قبل ذلك كما زعموا.
* أن سلطان بروناي لم يكن صديقًا لوالدهم، بل إنه لم يلتق به على الإطلاق، برغم ارتباط آل الفايـد بـه الآن.
* أنهم كذبوا في أنهم غادروا مصر عام ١٩٦٢ ومعهم ٢٠ مليون جنيه استرليني.
* أنهم كذبوا في ادعائهم بأنهم كانوا يملكون أسـطولاً من السفن التجارية قبل فترة حكم جمال عبد الناصر وأنهم يملكون الآن سفينتي بضائع حمولة كل منهمـا

١٦٠٠ طن فقط و ١٤ سفينة أخرى تم شراؤها فـي دبي.

* أنهم كذبوا في ادعائهم بأنهم كونوا ثروتهم من أعمال البنوك والفنادق والبترول والأعمال العقارية.
* أن الأموال التي غطت صفقة شراء هارودز ليسـت مملوكة لهم بالكامل. وأن كل ما ادعوه بشأن تقـدير ثروتهم ببليون دولار غير صحيح.

كل هذا الكذب!

ورغم ذلك تم ابتلاع التقرير فورا، ولسـبب غيـر معلوم وغير واضح، وبما يوحي بأنه كانت هناك علاقة من نوع ما بين الحكومة البريطانية والفايد.. ورغم هذا مضـى محمد الفايد يؤكد أنه دخل هارودز ولن يخرج، ويقول وكأنه يخرج لسانه لتيني رولاند: " هذه أهرامي، سوف أبقى فيهـا إلى الأبد، ولن أخرج منها، ويمكن أن أدفن فوق سـطحها".. وأضاف: " إن كل ما قلته عن أصل عائلتي صحيح، ومدينة فايد المصرية سميت باسم القبيلة التي أنتمي إليها، والمنطقـة التي ولدت فيها قبل ٥٨ عاما كانت غاية في الاحترام، وهي وسط الحي التجاري، ولكن الأمور لا تستمر على مـا هـي

عليه. وإذا كنت فقيرا فسوف أعترف بهذا، لأن الفقر ليس عيبا، وهذا الفقر كان سيعطي أي قصة أنسجها حول نفسي بعدا رومانتيكيا أفضل.. لأنني سوف أظهر وقتها وكأنني مشرد جذاب، خرجت من الصحراء معدماً وفعلت ما أريد .. عموما إن القافلة تسير والكلاب تعوي.. فلينبح أعدائي وليصرخوا ولكنني باقٍ هنا.. ولي ولإخوتي عشرة أولاد بينهم سبعة ذكور وسوف نبقى هنا ألف سنة"

منتهى التحدي.. أمام كل هذا الهجوم.

ويبدو أن محمد الفايد، هذا الرجل العنيد الصارم، كان لديه إحساس هائل بالقوة، وبأنه سوف يفوز في النهاية.. إذ أن هذا ما حدث فعلاً في مايو ١٩٨٩، حيث خسر " تيني رولاند" كل شيء. وصدر حكم مجلس اللوردات.. أعلى محكمة استئناف في بريطانيا لصالح محمد الفايد.. وأقرت المحكمة أنه يوجد ضرورة لرفع أمر هذه الصفقة إلى "لجنة الدمج والاحتكارات". وأنها ترفض إصدار توجيهات إلى وزير الخارجية بأن ينشر التقرير الذي تم إعداده حول أسرة الفايد.

إنه الفوز الحاسم. إنه الانتصار الذي جعل الثمرة المحرمة تهضم تماما في معدة الفايد.

ومن المفارقات أن هذه المعركة التي انتهت أخيرا بعد سنوات من الاشتعال.. كانت لها ذيول أخرى.. وكان أهم ذيل هو ذلك التقرير الذي احتفظت به وزارة التجارة.. ثم نشرته بعد أن هدأت الأجواء.. ثم رأى المدعى العام أنه تقرير "به الكثير من الأقاويل التي لا تعتمد على مستندات ولا يقبل كأساس لرفع دعوى أمام المحاكم"

هذا الذيل تحول إلى سمعة سيئة.. حفرت ندبة في وجه الأسرة.. بحيث أسرعت إلى إجراء عمليات تجميل عديدة لتخفي ما علق في وجهها من آثار المعركة.

وكانت هناك ذيول أخرى لأطراف هذه المعركة.. أطراف من مصر ومن دول أخرى.

٤

الرجل الخفي

• خُذ مالي والعب لي به!

" ووقف الزعيم الكـوبي العجـوز يمارس هوايتـه ويطـبخ الأطبـاق لمحمد الفايد، وبعد الأكل خرجا معا لصيد البط"

قبل أن يشتري محمد الفايد محلات هارودز كان قـد خرج لتوه من صفقة ذات نوع خاص. صفقة اشـترى فيهـا وباع.. ثم اتضح فيما بعد أن دور هذا الملياردير في الصفقة لم يكن يزيد على دور سمسار.. أو للدقة ستار اختفي وراءه المشتري الحقيقي.

كان هدف الصفقة هو علامة أخرى مـن علامـات لندن.. فندق " دوشتسر".. الذي لا يقارن بالطبع بكل ما لدى هارودز من سمعة.. لكنه كان أيضـا واحـدا مـن رمـوز العاصمة البريطانية العريقة..

لقد بنى هذا الفندق في نهاية عام ١٩٢٩، في وقـت اشتدت فيه الأزمة الاقتصادية العالية.. ومضت سنوات عديدة قبل أن يصبح فندقًا مرموقًا بعد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانية.. وقتها صار ملتقى رجـال الطبقـة الارسـتقراطية البريطانية.. وأصبح أحد الأماكن المفضلة للعائلة المالكـة.. بل إن الملكة إليزابيث- التي كانت أميرة في ذلـك الوقـت حضرت به أول حفل راقص في حياتها.

كان الفندق- ولم يزل – مكانًا مميزا للغاية.. يرتاده عدد كبير من الشخصيات البارزة في العالم.. الملك فيصل..

الملك حسين.. والسلطان حسن بلقيه.. وكانت تميـزه قاعـة جلوس فخيمة بها أعمدة رومانية.. وعدد كبير من الأشـجار الصناعية الذهبية.. بل وبه ردهة مغطاة تماما بأوراق مـن الذهب الخالص.

في السبعينيات انهارت سمعة الفنـدق، وتـدهورت أوضاعه، وأضطر ملاكه لأن يعلنوا عن رغبتهم في البيـع، فتقدمت للشراء مجموعة عربيـة أفرزتهـا فـورة الـنفط، وضخمتها المضاربات المالية، وتمت الصفقة.. ووقع العقـد ممثلاً عن هذه المجموعة العربية الملياردير موفق الميداني.. الذي سرعان ما قام بعملية تطوير واسعة للفندق، خاصة في اتجاه الأثاث والمفروشات التي تدنى مستواها تماما.

في هذه الأثناء، وبعدها، كان فندق دوشتسـر هـو المكان المفضل للسلطان حسن بقليه.. سلطان بروناي.. هذه الدولة الصغيرة جدا في قلب آسيا والتي تقوم فوق بحر مـن الغاز والبترول. كان زبونًا دائما.. وله صفات واضحة لكـل العاملين في الفندق، رغم أنه كان حين يسير بـين جنبـات المكان بالملابس العادية لم يكن باستطاعة أحد مـن نـزلاء

الفندق أن يميزه عن أي عامل به، أنهى وردية عمله، وضل طريقه، ولم يخرج من الباب المخصص للعاملين.

لقد كان هذا الرجل الذي لـم تسـتقل دولتـه عـن بريطانيا سوى في عام ١٩٨٤ هو أغنى رجل في العالم. ولم يزل كذلك.. حتى أنه في كل عام يتصدر قائمـة تصـدرها مجلة فوربس الأمريكية لأكثر الناس ثراء في العالم.. تتجاوز ثروته الثلاثين مليار دولارـ وهي أرقام جعلتـه رجـلاً ذا طابع أسطوري ـ حولته إلى شهريار.. يعيش فـي القـرن العشرين بمنطق ألف ليلة وليلة.. لا يتورع عن أن يتـزوج من حين لآخر زوجة جديدة.. ولا يجد في أن يقيم لنفسه حفل عيد ميلاد – كما حدث في عام ١٩٩٠- يحضره نحو عشرة آلاف فرد.. لا يجد في ذلك أي شيء معيـب.. خاصـة أن شعبه المسكين الهادئ القنوع الخنوع يلتزم الصـمت خلـف جدار يتمثل في أن ثروة البلاد من البترول جعلت المـواطن في بروناي صاحب أعلى مستوى للدخل في العالم " نحو ٢٥ ألف دولار"

والسلطان حسن هو كل شـيء فـي هـذه الدولـة الصغيرة، إنه السلطان، ورئيس الوزراء، ووزيـر الماليـة

ووزير الداخلية.. وأخوه الصغير وزير الخارجيـة، وأخـوه الأصغر وزير الثقافة والشباب، وأبوه الـذي كـان سـلطانًا وتنازل عن العرش هو في نفس الوقت وزير الدفاع.

وعلى الرغم من أنه يتمتع بكل هذا الثراء والنفـوذ، إلا إنه شاب خجول إلى حد بعيد.. وربما كان يخفـي هـذا الخجل وراء ستائر ثقيلة من الفخامة والإنفاق الباهظ الـذي يصل في أحيان كثيرة إلى حد الابتذال.. إنه مثلاً يعيش فـي قصر لا يوجد له مثيل في العالم.. به قرابة ١٨٠٠ غرفـة. وله مهبط طائرات هليوكوبتر.. وموقـف سـيارات يتسـع لانتظار ٨٠٠ سيارة.. ولديه هو شخصيا أسطول طـائرات خاص.. بينها طائرة إيرباص صنعت له خصيصا بمواصفات طلبها هو بنفسه. ومن بين أملاكه مزرعة ماشـية متراميـة الأطراف في أستراليا. ولديـه مجموعـة أسـطورية مـن المجوهرات وكثير منها موزع بين زوجاته، خاصة الأولـى السلطانة " صالحة" التي يقال أنه صالحها ذات مرة بخمسين مليون دولار.

ورغم أن السلطان يرفض الأحاديث عن حجم ثروته ويقول أن الصحف تخلط ما بين ثروته وثروة بلاده.. إلا أن

هناك ما يؤكد أنه يملك ٦٣ سيارة مرسيدس من طراز ٦٠٠ إس إي سي فضلاً عن ١٥٧ واحدة من طـرازات أخـرى لمرسيدس وفوق كل هذا مائـة سـيارة رولـزرويس و ٢٠ سيارة فيراري نادرة وسبع سيارات جاجوار.

إنها صورة سلطان لدولة لا يعرف عنها الكثيـرون شيئًا.. صورته التي تدفع من حين لآخر المراسلين الأجانـب لزيارة هذه الدولة كي يعرفوا كيف يعيش شعب هذه السلطنة وسلطانه يفعل كل هذا.

وحسب وصف مجلة بارى ماتش فإن هـذه الدولـة التي لا تزيد مساحتها على خمسة آلاف و ٨٠٠ كيلو متـر مربع، يعيش بها ٢٢١ ألف نسمة، ٤٠% منهم من الشباب، تقع في جزر الهند الشرقية، وتحوطها الفلبـين وأندونيسـيا، وعادة ما يتم الوصول إلى أرضها من خلال ماليزيا.. مناخها استوائي حار يتميز بالرطوبة المرتفعة دائما..

وأرضها عبارة عن تـلال ومرتفعـات اسـتوائية.. اكتشفوا البترول في أرضها عام ١٩٢٩ فتحولت إلى واحـدة من أغنى دول العالم. خاصة انها تنتج نحو ٢٠٠ ألف برميل يوميا.

هذه الدولة التي ظلت نحو مائة عام تحـت الحمايـة البريطانية، قبل أن تستقل فقط في عام ١٩٨٤، أي قبل عـام واحد فقط من صفقة هارودز، شعبها مسالم للغاية. ليست لـه علاقة بأية أمور سياسية.. لم يتمرد أبدا إلا حـين كـاد أن ينضم السلطان إلى اتحاد مع ماليزيا.. ومن يومهـا فـرض حالة الطوارئ التي لم ترفع حتى الآن.

هؤلاء الناس الذين يعيشون في بيوت تقليدية عاديـة على ضفاف نهر " بروني ".. لا يعانون من أيـة مشـاكل.. فالتعليم مجاني والضرائب غير موجودة.. والقروض متاحـة بدون فوائد تقريبا.. وميزانية الدولة بسيطة لا تعاني العجـز أبدا.. ويمكن لأي مواطن أن يحصل على عديد من الأجهزة التي تحتاجها البيوت الحديثة بدون عناء.. ويمكن له أيضا أن يقلد السلطان ويلعب " البولو"

و" البولو" لعبة يحبها الإنجليز. واشتهرت في العـالم بسبب حب الأمير تشالز لها.. وقد كان عمـاد الفايـد ابـن محمد الفايد يلعبها أيضا. لكن السـلطان بـدأ يتعلمهـا فـي منتصف السبعينات، متأثرا فيما يبدو بعديد من مظاهر الحياة الإنجليزية الأخرى.. وقد بلغ حبه لها درجة جعلتـه يـدفع

رجال الشرطة والجيش أن يتعلموها كي يمارسـوها معـه.. حتى أنه أرسل عددا من كبار رجال الدولة إلى الفلبين كـي يتعلموا هناك أصول هذه اللعبة التي تمارس بالمضارب مـن فوق ظهور الخيل.

والواقع أنه يعشق بريطانيا، ومن هنا فهـي المكـان الذي يسافر إليه كثيرا ودائما.. حيـث يقـيم فـي فنـدق " دوشتسر" الذي بلغ غرامه به مدى بعيدا.. وفي هذا السـياق تروى حكايات غامضة عن أنه كان دائما حين يصـل إلـى لندن يفضل أن يقيم في الجناح الملكي لهذا الفندق، لكنه كان دائما ما يجده مشغولاً.. وبالتالي قرر أن يجعل هذا الجنـاح مخصصا له بشراء الفندق كله!

وعلى الرغم من أن هذا التفسير الذي يـروي فـي بعض صحف الغرب غير منطقي إلى حد بعيد، إذ بإمكـان السلطان أن يحجز هذا الجناح المكون من دورين، ما يريـده من أيام للإقامة في الفندق قبل أن يصل بفترة طويلة، ويمكن له أيضا أن يستأجر الجناح طوال العـام بـدون أن يتحمـل تكاليف ثمن الفندق كله.. على الرغم من أن هـذا التفسـير ضعيف.. إلا أن السلطان اشترى الفندق عن طريق الفايد.

وربما نتخيل أن السلطان اشترى الفنـدق لأسـباب عديدة، أهمها أنه مكان مميز عريق في لندن، التي حكم أهلها بلاده نحو مائة عام، وأبرزها أنه اشترى مكانًا، في كل ركن به قصة لرجل هـام.. أو امـرأة مـؤثرة.. مثـل الملكـة إليزابيث.. التي أعجب بها كثيرا السلطان حسن بلقيه، وكان في قمة سعادته حين زارت بلاده في منتصف الثمانينات في جولة شملت عددا من دول آسيا الأخرى.

لقد كان السلطان منبهرا بالفندق تمامـا، رغـم أنـه يستطيع شراء قصر فخيم في أي مكان في انجلترا، بل وفي العالم كله، خاصة أنه في كل زيارة له كان يسمع الكثير عن الفندق..

كانوا يقولون له: هذا الفندق انتعش تماما بعد الأزمة الاقتصادية العالمية في عام ١٩٢٩، وكان يستدعي في كـل أسبوع أجمل فتيات الباليه من نيويورك ليرقصن كل أحد في سهراته المبهرة.

وكانوا يقولون له: هذا الفندق هو أول من ابتدع من بين كل فنادق لندن إقامة حفل راقص بعد العشاء الخفيف، ثم تعرض مسرحية يعقبها عشاء أثقل، ويستمر بعدها الـرقص

حتى الصباح.. حيث لم يكن مسموحا لأحد بالحضور إلا إذا ارتدى الردنجوت.

كانوا يقولون له: هذا الفندق لم يهتز فـي القصـف الذي ضربت به لندن خلال الحرب العالمية الثانية، لأنه ضد القنابل، ولأن هيكل الأسمنت الذي يحميه سمكه نحو ثلاثـة أقدام.. بل إن طول أسياخ الحديد التي بنى بها قد يصل إلـى نحو ألفي ميل، وقد غُطي بمائة وأربعين ألف قدم مربع مـن الرخام.

كانوا يقولون له: هنا جاء الممثل الأمريكي المرموق داني كاي، وريتا هيوارث، ومارلين ديتـريتش، وإليزابيـث تايلور، وفيفيان لي، وبريجيت باردو، وألفـرد هتشـكوك- وصوفيا لورين.. والملكة إليزابيث التي تناولت هنا العشـاء في نفس اليوم الذي أعلنت فيها خطوبتها من الأمير فيليـب والد ولي العهد الحالي الأمير تشالز.

" نقلاً عن كتاب أثريـاء العـالم، للـدكتور هشـام الحديدي، الدار المصرية اللبنانية "

لكنني لا أعرف إن كانوا قد قالوا أيضا للسـلطان أن عرش الفندق اهتز تماما في بدايـة السـبعينيات، وواجهـت

الشركة التي تملكه أزمة مالية حادة، دفعت حـاملي الأسـهم لأن يوافقوا على بيعه لشركة أوروبية مقابل ٩ ملايين جنيـه استرليني، ما لبثت هي الأخرى أن باعته بدورها إلى رجـل أعمال فرنسي بـ ١٨ مليون جنيه اسـترليني، وكـان هـذا الرجل في الواقع واجهة خفية لمجموعة من رجال الأعمـال العرب اتضح فيما بعد أنهم هم الذين اشتروه.. وليس رجـل الأعمال الفرنسي.. وصار ملكًا لهؤلاء حتى عام ١٩٨٤ حين ظهر محمد الفايد كمشترٍ مصري جديد لهذا الفندق العريق.. ثم باعه لسلطان بروناي.

إن أحدا، على وجه الدقة، لا يعرف كيـف نشـأت العلاقة بين السلطان حسن بلقيه.. ومحمد الفايـد.. وروايـة رجل الأعمال المصري المرموق لهذه النشأة لـم تصـدقها السلطات البريطانية.. خاصة حين زعم أن أباه كان صـديقًا للسلطان.. ولكن ليس بعيدا علـى أي شـخص لـه درايـة بالأسواق أن يدرك أن نشوء هذه العلاقة ممكن للغايـة بـين رجل احترف السمسرة الدولية منذ زمن طويل، خاصة فـي سوق البترول، هو محمد الفايد.. وبين رجل يسـيطر علـى واحد من أكبر الأماكن إنتاجا للبترول في العالم. يمكن أيضا

أن ندرك أن شخصا مثل السلطان حسن بلقيه، هو في الواقع هدف لعديد من رجال الأعمال في العـالم الـذين يربحـون الكثير من خلال الوساطات وعمليات السمسرة والقيام بأدوار لا يستطيع السلطان أن يقوم بها بنفسه.

ومن بين هذه الأدوار التي لعبها محمد الفايد لصالح سلطان بروناي قيامه بشراء فندق " دوشتسر" لـه.. وإنهـاء الصفقة بكل تفاصيلها الكاملـة.. دون أن يظهـر المشـتري الأصلي. وتسليمه بضاعته في النهاية.

في هذا السياق ذكرت في البداية حكايات تقـول أن المغامرة كلها كانت في الأصل لصالح محمد الفايـد.. فهـو صاحب الرغبة في شراء الفندق.. وهو صـاحب الفكـرة.. وصاحب قرار الشراء.. وصاحب المـال.. الـذي دعمـه بضمانات مصرفية عديدة.. ثم استطاع فيمـا بعـد إغـراء السلطان بشرائه.. وربح هو بعض الملايين.

لكن السلطان حسن نفسه قال شيئًا غير هذا في لقـاء تليفزيوني أجرى معه أثناء أزمة " هارودز"، وحـين ذكـر اسمه كثيرا باعتباره المالك الأصلي للمحلات المرموقـة وأن محمد الفايد اشتراها له ومن أمواله هو.. أي السلطان.. لقـد

قال حسن بلقيه: إن آل الفايد هم أصدقائي، وأنا لست علـى استعداد لأن أتخلى عنهم تحت وطـأة أي ظـروف أو لأي أسباب". وأضاف: "لقد أعطيت تفويضا للسيد محمـد الفايـد لكي يشتري لي فندق " دوشتسر".. وأعطيته قدرا من المـال كي يغطي المصروفات الخاصة بهذه العملية.. ولكـن هـذه المصروفات ليست سوى مبلغ صغير لا يمكن له أن يلعـب أي دور في صفقة " هاوس أوف فريزر" مالكة هاردوز"

وكشف السلطان مزيدا من التفاصيل: " إن التوكيـل الذي أعطيته لمحمد الفايد تم إلغاؤه في عام ١٩٨٥ بعـد أن اشتريت فندق " دوشتسر" ولم أعطه أي توكيل لعمل آخـر.. فأنا أعتمد على خطة واضحة في استثماراتي.. وهي أن أدير أموالي عبر البنوك التجارية والمستشـارين الخصوصـيين" ومن هنا فإنه ليست لي علاقة بـامتلاك آل فايـد لشـركة " هاوس أوف فريزر".. ولم أساهم معهم أو أسـاعدهم بأيـة أموال من أجل إتمام هذه الصفقة.. وإذا كانوا قد اسـتخدموا التوكيل الذي أعطيته لهم لشراء فندق دوشتسر في مصالحهم التجارية، فإنهم يكونون قد فعلوا ذلك بدون موافقتي".

ثم عاد وأضاف: ربما وجد محمد الفايـد فـي هـذه الوكالة ما يعينه على جمع المال الـلازم لتمويـل صـفقاته التجارية، لكن الوكالة القانونية تم إلغاؤها بالفعل، ولـم يعـد هناك بيني وبينهم أي تعامل تجاري.. رغم أن هناك علاقـة صداقة معهم.

واقع الأمر أن الفايد كان ولم يزل معروفًا بعلاقاتـه العديدة مع شخصيات مختلفة في العـالم، شخصـيات تـنعم بالثروة والدور السياسي والعلاقات التجارية العديدة.. وهـي صفة يبدو أنه تعلمها من صهره الأول عدنان خاشقجي.. وقد استمرت معه منذ بداية حياته كان صديقًا وشريكًا لآل مكتوم في دبي. " التفاصيل في فصل خاص عـن ثـروة الفايـد" واستمرت كذلك معه – هذه الصـفة – فيمـا بعـد صـفقة هارودز، حتى أنه عرف بأنه صديق لكاسترو زعيم كوبا.

وفي عام ١٩٩٦ دعا فيدل كاسـترو محمـد الفايـد لزيارة الجزيرة التي تحاصرها الولايات المتحدة اقتصاديا منذ سنوات طويلة. وكان الهدف هو أن يحصل الفايد على عقود تجارية من كوبا يكون بها من حقه احتكار تسويق السـيجار الكوبي الشهير في بريطانيا. ولكن مايكل كول المتحدث باسم

الفايد أكد أيضا أن الهدف من الرحلة أمور أخرى عديـدة.. ربما كانت من بينها عقود رحلات سياحية.

ولم تكن هذه هي الرحلة الأولى لمحمد الفايـد إلـى كوبا، بل إنه فعل ذلك مرات كثيرة، ولكن الزيارة في هـذه المرة كانت ناجحة للفايد.. واستضاف فيها كاسترو الفايد في بيت يملكه الزعيم الكوبي على تل خارج العاصمة هافانـا.. وتحولت بمضي الوقت من زيارة عمل إلى زيارة اجتماعية.. خاصة بعد أن انضم للاثنين صديق مشـترك هـو الممثـل الفرنسي المعروف جيرار دي بارديو.. واصطاد الفايد مـع كاسترو البط.. وقدم له الرئيس العجوز المعروف بأنه يهوى الطبخ عده أطباق من صنع يديه.. وعاد الفايد إلى بريطانيـا حيث قال المتحدث باسمه أن الفايد سوف يعود فـي وقـت لاحق إلى كوبا، خاصة أن لديه دعوة مفتوحة مـن الـرئيس الكوبي.

تعود إلى قصة فندق " دوشتسر " الذي لم تنته قصته عند حد قيام السلطان حسن بلقيه باستعادة الأموال التي قدمها للفايد في شكل الفندق مع بعض الأرباح للفايـد.. ذلـك أن الإمبراطور المصري لم يقنع بهـذه الأربـاح.. وقـرر أن

يحصل على ما هو أكثـر.. أن يحصـل علـى حـق إدارة الفندق..

ذلك إنه أثناء مفاوضات محمد الفايد لصالح الرجـل الخفي على شراء الفندق كانت تواجهه صعوبة عدم موافقـة شركة " ريجنت العالمية" على أن تترك له عقد إدارة الفندق.. وأصرت الشركة على أن تنفذ عقدها حتى النهاية.. وقبـل الفايد على مضض حتى تنتهي الصفقة التي لو ظهـر اسـم السلطان بها سوف ترتفع قيمتها.. أضعافًا مضاعفة. ومـرت الأمور.

لكنه – أي محمد الفايد- ما لبث حين تم توقيع العقد أن رفع دعوى قضائية أمام المحاكم البريطانية طاعنًـا فـي سلامة إدارة شركة " ريجنت العالميـة" لفنـدق دوشتسـر.. واستطاع أن يكسب كما هي العادة.. وصار مـن حقـه أن يدير الفندق، حتى بعد أن امتلـك السـلطان حسـن بلقيـه "دوشتسر".. وربما كانت تلك هي المكافأة الثانية التي أعطاها له الرجل الخفي مقابل إتمـام الصـفقة، بالإضـافة إلـى " المصروفات الصغيرة" التي منحها له من قبل.

بعد هذا بعدة أشهر صارت هـذه الصـفقة حـديث بريطانيا كلها... وكان السبب هو صفقة أخرى أهم.. صفقة " هارودز" التي قيل أن الرجل الخفي كان هو أيضا الذي يقف وراءها.. كما حدث في حالة فندق " دوشتسر" .

٥

الطفل المعجزة

- <u>يا صديقي رولاند سوف أتصنت اك عليه</u>

"وكان السادات يقـول أن أشـرف
مروان يقدم خدمات جليلة لهذا البلد
بأساليب لا تسمح لـي كرامتـي أن
أقوم بها"

إنه حفل عشاء.. اثنان فقط على المائـدة. أشـرف مروان وتيني رولاند.. صديقان قديمان ليست هذه هـي أول مرة يتناولان فهي العشاء سويا.. وليست المرة الأولى التـي يكون فيها العشاء مناسبة للاتفاق على صفقة.. فهذا يحـدث كثيرا بينهما منذ ١٣ عاما، ومنذ تعارفنا وتشاركا فـي عـام ١٩٧١.

لكن هدف العشاء في تلك المرة كان هامـا للغايـة وضروريا بالنسبة لتيني رولاند. فـالأمر يتعلـق بـالثمرة المحرمة.. يتعلق بمحلات هارودز.. والتي كان تينـي قـد أبعد عن تحقيق حلمه فيها في ذلك الحين، بعـد أن رفضـت لجنة مكافحة الاحتكار عرضه بأن يشتري مؤسسة " هـاوس أوف فرايزر" التي تملك هارودز. وقتها كان مفروضا علـى شركة " لونرو" التي يملكها تيني رولاند ألا تزيـد حصـتها على ٢٩,٩%. وكان هدف العشاء هو الاتفاق بـين الاثنـين على الالتفاف حول هذا القرار بأن يبدأ أشرف مروان شراء مجموعة من الأسهم في "هاوس أوف فرايزر" لصالح تينـي رولاند بدون أن يظهر " تيني" نفسه وشركته في الصـورة.

"نقلاً عن صن داي تليجراف"

إنها تقريبا نفس الفترة الزمنية التـي حـدث فيهـا التلامس الجديد بين تيني رولاند ومحمد الفايد. والذي يبـدو أنه كان مكلفًا بنفس مهمة أشرف مروان من تيني، باسـتثناء بسيط هو أنه قام بشراء الأسهم من تيني ولم يعدها. "راجـع فصل الثمرة المحرمة" وهي أيضا نفس الفترة الزمنية التـي شهدت بداية الصراع بين الفايد وأشرف مروان، بحيث صار الأخير وقودا استخدمه تيني رولاند في حربه ضد الفايد.

إن المليونيرين المصريين اشتبكا من قبل في علاقات مع تيني رولاند. ولكن الاشتباك قبل ذلـك كـان ارتباطـًا. وكلاهما وجد طريقة إلى دنيا الأعمال الدوليـة مـن خـلال لندن. وكلاهما له شركة أو أكثر مسجلة في إمارة ليخشتاين. وكلاهما عمل في النفط. وكلاهما كان البترول جـزءا مـن أسباب ثرائه. وكلاهما تحول إلى بطل من الصفر. وكلاهما وجد عددا من الأثرياء العرب ليجروا قاطرته. وكلاهما لديه قصور وفيللات في عدد هائل من دول العالم.

وكلاهما يلعب الآن في البلايين.

قد تكون كل هذه الصفات عناصر تشابه بين الاثنين. ولكنها أيضا قد تكون سببا للصـدام فـي دنيـا لا تعتـرف

بالجنسية، وبالانتماء إلى وطن واحد.. فهذه أفكار ساذجة في مستنقعات لا تعرف سوى قانون الديناصورات!

لقد كان مدخل محمد الفايد إلى دنيا المال والتجـارة من خلال المصاهرة. وكذلك كان مدخل أشرف مروان.مـع فارق بسيط هو أن الأول تزوج أخت مليـاردير سـعودي، والثاني تزوج ابنة الرئيس المصري الراحـل جمـال عبـد الناصر.. ومع فارق زمني بسيط أيضا لا يزيـد علـى ١٦ عاما، إذ بينما كان محمد الفايد قد تزوج وطلق ثـم انطلـق، كان عمر أشرف مروان لا يزيد على عشر سنوات، وحـين كان الفايد قد وضع رجله على أول الطريق، بل وقطع نحـو ربع هذا الطريق، كان أشرف مروان يتحسس موقعا لنفسه.. ربما يكون موجودا وربما لا.

إن هذا الشاب الذي اسمه "محمد أشرف أبـو الوفـا مروان" هو ابن اللواء أبو الوفا مروان الـذي كـان مـدير الإمدادات والتموين في الجيش، نجح في أن يتعرف على ابنة الرئيس جمال عبد الناصر في نادي الضباط بمصر الجديدة. لقد كان لم يزل ضابطًا صغيرا في الجيش انضم إليه حـديثًا

بعد أن تخرج في كلية العلوم.. لكنه استطاع بشـكل مـا أن يقنع مني جمال عبد الناصر بأنه فتى الأحلام المنشود علـى الرغم من أنه كان يعاني من ثقل في النطق. حتى أن هنـاك من يرى أن الرئيس وافق على هذا الزواج قبل أن يراه بعـد أن سمع عنه من ابنته الكثير.

لقد أُعطى أشرف مروان حظًا وُألقـى فـي بحـر السياسة والسلطة.. وفي قلب أمواج صناعة القرار.

إذ بمجرد أن تزوج ابنة الرئيس كان أن دخل مكتبه، أسوة بابنة الرئيس الأخرى وزوجها حاتم صادق. وبمجـرد أن دخل مكتب الرئيس بحث له سـامي شـرف عـن دور؛ فجعله حلقة الوصل بين المكتب وسلاح المهندسين الذي كان ضابطًا به، حتى يتابع عمليات تطوير الأسـلحة والاسـتعانة بالكيماويات، ليس لأن سامي شرف يعـاني فـي وصـول المعلومات من سلاح المهندسين، ولكن لأنه – أي سـامي- يريد أن تكون له عين خاصة داخل السلاح.. وكانـت هـذه العين هي أشرف أبو الوفا مروان.

ويقول موسى صبري في كتابه " السادات – الحقيقة والأسطورة"، وهو مصدر أساس ننقل عنه هنا تفاصيل قصة

أشرف مروان، وأنه كان رغم ذلك مساعدا محدود الاختصاص لسامي شرف، وكان يرتعش حين يقف أمام الرئيس عبد الناصر، لكنه انتقل فجأة إلى موقع أفضل حين احتفظ به أنور السادات في مكتبه، وانتهز هو الفرصة كي يحتل موقع سامي شرف، فكان الرئيس السادات يقول له "لسه بدري يا أشرف.. لما تتمرن"

في غضون هذا توثقت علاقات أشرف مروان مع عائلة الصباح في الكويت، ومع جيهان السادات في مصر، ويقال أنه ترددت شائعات غير دقيقة حول تورط أشرف مروان في علاقات تجارية ورد فيها اسم عائلة الرئيس، وهو ما دفع عددا من القوى في رئاسة الجمهورية لأن تقف أمامه.. وأعلن ضابط مسئول عن الأمن في مكتب الرئيس عداءه له.. لأنه يسيء إلى سمعة السادات.. لكن هناك من طلب من هذا الشخص أن يوقف محاولاته تلك... فتوقف.. واتسع نفوذ أشرف مروان ووصلت يداه إلى أدق التفصيلات في حياة الرئيس.. حتى أنه كان يختار بنفسه المضيفات في طائرة السادات. وتدعم موقفه وقويت علاقته بالرئيس حين

أوحى له بأنه يعاني من عداء داخل أسرة أصهاره – أسـرة جمال عبد الناصر – بسبب بقائه يعمل ضمن طاقمه.

واقع الأمر أن السادات كان يدعمه لأسـباب غيـر واضحة ولأسباب أخرى غيرها معلنة تماما.. إذ نقـل عـن السادات ذات مرة "إن أشرف يقوم بخدمات للبلد لا تسمح لي كرامتي أن أقوم بها.. وكمثال فإنني لم أكن أعرف أن أحـد المقربين الملك عربي يتقاضى رشوة وهو رجل يساعدنا فيما نطلبه من هذا الملك، وأشرف يقوم بهذا". وفي مرة أخـرى قال السادات: "أنا لا أقبل أن أمد يدي إلى أي حاكم عربـي، ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة، وأشـرف يقـوم بهـذه المهمة". ويقول موسى صبري: إن دبلوماسية السادات التـي كانت تقوم على الاتصال المباشر مع الرؤساء كانت تجد من ينفذها في شخص أشرف مـروان، بـدون بروتوكـول أو إجراءات سمية .. وهو يتعامل مع الأمراء العرب بدون كلفة وبدون رسميات.. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصـرفات التي تغضب السادات أو المطالب التي يريد تحقيقها وفي هذا يختلف تماما دوره عن وزير الخارجية.

فوق هذا فإن السادات قال أيضا: " لقد قـام أشـرف مروان بتقديم خدمات ممتازة في موضوع الأسلحة، واستطاع بجهده الشخصي وعلاقاته أن يذلل كثيرا من العقبـات مـع المصانع الفرنسية بالذات.. وفي أوقات محرجة قبيل حـرب أكتوبر"

ومن هنا يمكن تصور حجم ونوع علاقات هذا الشاب صغير السن، وهي علاقات وفرها له ذكاؤه وقدرتـه علـى الاتصال، ودعمتها دولة تسانده متمثلة في شخص الـرئيس، ومن هنا أيضا ووفق هذه العلاقات يمكن تصور كيف وصل أشرف مروان إلى الثروة التي يملكها الآن.

لقد نجح في أن ينشئ علاقات وطيدة مـع أعضـاء مجلس قيادة الثورة في ليبيا، وفي مقدمتهم عبد السلام جلـود الذي كان يهرب إلى القاهرة بعيدا عن القيود التي يفرضـها القذافي على سلوكه الشخصي. ثم مع أحمـد قـذاف الـدم. وقبلهما مع القذافي نفسه.. وفي ذات الوقت مـع البليـونير كمال أدهم صهر الملك فيصل الذي تطورت العلاقة معه إلى حد المشاركة في أمور تجارية، لاسيما أن كمال أدهم كـان وكيلاً لشركة بوينج في الشرق الأوسط ويتقاضى عمولة عن

كل طائرة تباع في المنطقة.. وكانت لأشرف أيضـا علاقـة وطيدة مع هنري كيسنجر.. ثم تطورت دائرة شبكة العلاقات حين عين أشرف مروان رئيسا للهيئة العربية للتصنيع.

ولكن هذه الشبكة المتمركزة بقوة، كما أدت إلى نمو نفوذ وثروة أشرف مروان، أدت أيضا إلى متابعة الآخـرين له.. ومحاولة الإيقاع به. وقد كانت المرة الأولى في وقـت مبكر.. في عام ١٩٧١ حين جرى تحقيق حـول تقاضـي أشرف مـروان عمولـة عـن صـفقة سـيارات لرئاسـة الجمهورية.. ودافع أشرف عن نفسه بـأن الـذي تقاضـى العمولة موظف كبير آخر في ديوان الرئاسة. وانتهى التحقيق بعدم وجود دليل قاطع على إدانة أشرف مروان.

في مرة أخرى هاجم جلال الحماصي فـي جريـدة الأخبار شراء أشرف مروان لقطعة أرض فـي الهـرم، إذ باعها بعد ذلك بثمن مرتفع وحقق المدعى الاشـتراكي فـي الأمر.. وسئل أشرف عن مصدر أمواله التي اشـترى بهـا الأرض فقال أنها باسم زوجته.. وأن مصدر أموال زوجتـه هو سيارات تلقتها هدية من دولة عربيـة باعتبارهـا ابنـة

الرئيس جمال عبد الناصر.. ثم اتضـح أن الـذي اشـترى الأرض منه هو البليونير كمال أدهم.

وفي مرة ثالثة تعـرض أشـرف مـروان لهجـوم الصحافة من خلال مقالات على أمين الـذي أطلـق عليـه وصف "الطفل المعجزة" الذي يملك طائرة خاصة يسافر بهـا كما يفعل أصحاب الملايين.. لكنه نجا مـن هـذا المطـب لأسباب لها علاقة بخلاف السادات مع على أمين.. ويقـول موسى صبرى أن أشرف مروان لعب دورا في هذا الخلاف وفي إبعاد على أمين عن السادات، خاصة أن هنـاك قـوى أخرى كانت تؤيد هذا الإبعاد.

وفي مرة رابعة نجح أشرف مروان في إنقاذ نفسـه من كمين أعدته له المخابرات العامة. كمـا يقـول موسـى صبرى أيضا – بل وتمكن من اعتقال أعضاء الكمـين فـي شقته، ولم يفرج عنهم إلا حين تم اتصال بينه وبين السـادات في إسرائيل. وبدلاً من أن ينجح الكمين في العثور على دليل يؤكد صحة الاتهامات المتداولة حول أشرف مروان، نجـح هو في أن يوظف ما حدث لإقناع الرئيس السادات بأن هناك من يحاول تلفيق الاتهامات له.

لكن الاتهامات تراكمت، والقوى توحدت، والعناصر كلها تلاقت، وكان أن أُبعد أشـرف مـروان مـن رئاسـة الجمهورية، ثم أُبعد أيضا عن الهيئـة العربيـة للتصـنيع.. وانتهت أسطورته مؤقتًا في مصر عام ١٩٧٨.

وإذا كان تلك هي الصورة التي كتبها قلـم مصـري عن أشرف مروان، وحتى عام ١٩٧٨، فـإنني أنتقـل إلـى صورة أخرى كتبها قلم غير مصري فـي مجلـة "رجـال الأعمال" وبعد ١١ عاما من هذا التاريخ، وخـلال الصـراع الذي كان محتدما بين تيني رولاند ومحمد الفايد حول "الثمرة المحرمة " – محلات هارودز.

إنه من خـلال هـذه الرؤيـة المختلفـة: "الرجـل الغامض.. الشبح". وثيق الصلة بالرئيس الليبي معمر القذافي وابن عمه أحمد قذاف الدم، والذي يقول عنـه : "إن مجـرد كوني صديقًا لهما لا يعني أنني إرهابي".. إنه الرجل الـذي يعيش في عالم من السرية.. والذي لم يكن سـوى موظـف صغير في مصر حتى منتصف السبعينيات، ثم صار خـلال سبع سنوات فقط رجلاً هاما استطاع أن يقـيم إمبراطوريـة تجارية على مستوى العالم.. له أملاك في شـيكاغو ولـوس

أنجلوس ومونت كارلو.. وفندق خمس نجوم وقرية سـياحية في مايوركا الأسبانية وشركتان في مصر وعدد كبيـر مـن الأسهم في شركة "أمريكان إنترناشيونال بتروليم" .. الرجـل الذي قدرت ثروته عام ١٩٨٤ بأنها لا تزيد على ٢٠ مليون دولار. ثم قدرها عثمان أحمد عثمان بأنها تصل إلـى ٤٠٠ مليون دولار ورغم ذلك يقول هو: "إن الأرقام ليست هامـة، فمهما كنتُ ثريا فإنني لا ألبس سوى قميص واحـد وبدلـة واحدة"... إنه الرجل الذي يملك أيضا منـزلاً فـي منطقـة كارلتون الشهيرة في لندن، وشقة في مونت كارلو وشقة في القاهرة.. وعمره لم يزل ٤٢ عاما وقتها.

إنه الرجل الذي يدين إلى الظروف. فقد جـاء فـي الوقت الصحيح والمكان الصحيح. حين بدأت أموال البترول تتدفق على الشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر.. وكـان لـه أصدقاء أقوياء يعملون في البترول.. فأصبح له مكتب خاص في أحد مباني "بيكاديللي" الشهيرة.. تحت اسم "اسـتثمارات مسيتيمو – شركة تمويل خليجية". وهو يقول عن هـذا: "إن المكتب ليس سوى ممثل لي، فأعمالي ليست في بريطانيا فقط وإنما في أماكن أخرى كثيرة". ومن هنا فهو يسافر كثيـرا،

حتى أنه يصل إلى مطار هيثرو في لندن نحو ١٥٠ مرة في كل عام.

وتقول المجلة عنه: لقد كان عمره ٢٧ عامـا فقـط، وكان هو الذي يتولى ثاني أكبر المناصب ذات التأثير والنفوذ في مصر. كان ينقل أخبار الوزراء إلى السادات.. وهو يقول عن ذلك: "كنت أتمتع بكراهية ٧٠% مـن المسـئولين فـي مصر، ١٠% يكرهونني لصلتي بجمال عبد الناصر و ٦٠% يكرهونني بسبب عمري. لأنه طبقًـا للقـانون المصـري لا يجوز تعيين شخص في منصب وزير قبل أن يصل إلى سن ٣٥ عاما. ومن هنا فقد كان إشرافي على الوزراء وأنا فـي العشرينيات شيئًا غير قابل للتصديق".

ولم يكن عمره قد تخطى العام الـ ـ " ٣١ " حـين أصبح رئيسا للهيئة العربية للتصنيع، وهو مشروع كان حجم رأس ماله وقتها مليار دولار ويعمل بـه قرابـة ١٨ ألـف موظف. ونمت علاقته مع كمال أدهم وعـدنان خاشـقجي. وحين افتتحت الهيئة لها مكتبا في لندن كانت كبريات شركات السلاح الأوربية تستقبله "وتفيض عليه من كرمهـا". لكنـه يفسر ثروته بطريقة أخرى إذ يقول: "أول صـفقة عقـدتها

كانت عبارة عن شراء قطعة أرض اقترضـت ثمنهـا مـن صديق في الخليج. وكان الحظ حليفًا إذ تضاعف ثمن الأرض خمس مرات في عامين". ثم "غادرت مصر في عـام ١٩٩١ وأقمت في لندن لأنه حين تكون صاحب نفوذ وسلطان فـي مصر ثم تترك السلطة فإن الجميع يصبحون أعداء لك.. ولم أعد أستطيع أن أعيش حياة عادية في مصر"

إلى هنا نقف ونبدأ الآن في رصد إشارات وعلامات دخول أشرف مروان على الخط مع تيني رولاند، ثم بالتالي ضد محمد الفايد.

لقد تعرف أشرف مروان في عام ١٩٧١ على تينـي رولاند، وجرت بينهما خلال السنوات التالية معاملات عديدة. والذين يعرفون الجانبين: أشرف وتيني يـرون أن تينـي لا يعتبر أشرف مجرد صديق، ولكنه شريك مميـز تضـاعفت أهميته بالنسبة له حين كان أشرف يعمل في الهيئة العربيـة للتصنيع، وقبل أن يغرق أشرف مروان تماما في عامل المال والتجارة. وتقول إحدى الروايات أن عراب التعارف بينهمـا كان مصرفيا عربيا بارزا اشترك معهما في عـدة صـفقات داخل الشرق الأوسط وأفريقيا. وأن تيني رولاند يـرى فـي

أشرف سياسيا قديرا وموثوقًا فيه. خاصة بعد أن أثبت هـذا أثناء أزمة تأميم شركات البترول البريطانية في ليبيـا. وقـد لعب أشرف دورا واضحا في هذا وقتهـا. ولكـن أنتـوني بارسونز وكيل وزارة الخارجية البريطانية آنذاك فشل فـي إقناع مجلس الوزراء البريطاني بإدراج هـذا الأمـر علـى جدوله، فتم تأميم الشركة في ليبيا. وكانت البداية مع شـركة Trad Winds التي أنشأها سويا. وفي عام ١٩٧٨ اشـترى تيني رولاند ٦٠% من أسهم شركة تابعة لهذه الشركة تعمل في الشحن الجوي. واشترت شركة أخرى الـ ٤٠% بقيـة الأسهم.. ثم في عام ١٩٧٩ باعت هذه الشركة نسبتها إلـى فرع " تراد ويندر" في " إيميري" وقد كان أشرف يدير هـذا الفرع فصار بالتالي عضوا في مجلس الإدارة.

بعد عام حدثت عمليتان في حياة البيـزنس الخـاص بأشرف مروان. ذلك أنه كان يقيم في الطابق الثامن من فندق سونفيدا في مايوركا ودعاه بعض أصدقائه لحفل غداء. وقالوا له أن الفندق معروض للبيع. وأنه كان هناك اتفاق على ذلك في تلك الليلة.. لكن الصفقة فشـلت .. وأبلغـوه بـالثمن "٧ ملايين دولار".. فأعجبه.. وقرر فورا أن يشتري، ودفع فورا

شيكًا بالقيمة.. لأنه – على حد قوله – كان يرى أنه يسـاوي ٢٠ مليون دولار. وفي نفس العام استقال أشرف مروان من مجلس إدارة الشركة التي يعمل بها مع تيني رولاند .ودخل مكانه أحمد قذاف الدم . وهو ما دفع تيني لأن يرفض هـذا، لأنه يريد أن تقوم الشركة بإنشاء علاقة مع مؤسسـات فـي الولايات المتحدة، ويخشى أن يتعرض للعراقيل بسبب وجود قذاف الدم.

لكن هذا لم يكن يعني انقطاع علاقة أشرف مـروان مع تيني رولاند.. ففي خلال أشهر وفي عـام ١٩٨٤ كـان أشرف مروان يخضع للتحقيق معه من مؤسسة " جريفز" في بريطانيا، لأنه قام في هذا العام بشراء مجموعة مـن أسـهم شركة "هاوس أوف فرايزر".. في محاولة للالتفـاف علـى القرارات التي تمنع شريكه تيني رولاند من أن يزيد حصـته في الشركة.

وفي غضون ذلك حاول أشرف مجددا التعاون مـع تيني. ودخل على الخط لشراء أسهم شركة "ريتشـارد دوس" في هاوس أوف فرايزر.. لكن القضاء البريطاني رفـض.. وعلق أشرف مروان على هذا بأنه ليس مهتما بـالحكم.. إذ

يمكنه أن يشتري ما يريد من أسهم من خلال الأسواق.. ولم يحدث هذا.

وقصة هاردوز من جانب آخر، وقبل دخول الفايـد على الخط تروى أيضا بشكل مختلف يفسر إصرار أشـرف مروان على أن يخوض الصراع مع تيني رولاند ضد الإخوة الفايد.. فقبل أن يقدم الفايد عرضه – حسب روايـة عـوني بشير في مجلة المجلة بعدد ١٤١١ – ١٩٨٧- كان أشـرف مروان قد اشترى جزءا من الأسهم – كما أوضحنا من قبل- ولكنه اُتهم بالتآمر لصالح تيني رولاند، وتم التحقيـق معـه، ولكن لم يثبت عليه شيء.. إلا أنه خرج من هذه العملية وقد حقق صافي ربح قدره ثلاثة ملايين جنيه إسترليني.

وبالتالي فإن أشرف حسب ما يفهم من هذه الروايـة كان قد ذاق طعم أرباح هارودز، واكتشف أنها خرافية. ولـم يرد أن يتركها لمحمد الفايد ينعم بها. وكان عليـه أن يلعـب حتى النهاية مع تيني رولاند. خاصة أن هناك مـن اعتبـر دخول أشرف مروان في هذه اللعبة قد جعله يشـبه "رمانـة القباني" في هذا التوازن الدقيق بين حاملي أسهم "هاوس أوف فرايزر" من ناحية وتيني رولاند من ناحية أخرى.

لكن المثير، وغير واضح الأسباب، هو أن أشـرف أشرك نفسه وبسرعة في المعركة بين الأخوة الفايـد وتينـي رولاند على "هاوس أوف فرايزر". لقد حدث هذا بالفعل بعد أن اشترى الفايد هاردوز وقتها وفي مارس ١٩٨٥، وبينمـا كان تيني رولاند ينقب في جذور أسرة الملياردير السكندري أرسل أشرف مروان عبر محاميه في لندن "ترا فراذر بريت ويث" خطابا إلى "هربرت سميث" محامي الفايد، يطلب فيـه معلومات عن الفايد.

وليس معروفًا لماذا يطلـب أشـرف مـروان هـذه المعلومات من محامي الفايـد، إذا كانـت بالفعـل تجهـز للاستخدام ضد الفايد. وهذا أمـر مثيـر للاسـتفهام. لكـن المعروف أن أشرف مروان أمد جريدة الأوبزرفر البريطانية المملوكة لتيني رولاند، والتي كانت تشن حملة ضـد الفايـد ببيانًات ومعلومات ومستندات عن الإخوة السكندريين. وكمـا قالت الصحيفة في مارس ١٩٨٥، فإن أشرف أعطاها صورة لطلب تقدم به والد محمد وصلاح وعلى الفايـد إلـى قسـم شرطة في الإسكندرية عام ١٩٦١ لاستخراج بطاقة عائلية..

وقد دون في هذا الطلب أنه يعمل مفتشًا بوزارة التربية والتعليم.

لقد كانت هذه معلومات هامة جدا لصالح تيني رولاند. خاصة أن الملياردير البريطاني لا يمكن أن يصل إلى مثل هذه الأوراق في مصر.. بل إن حصول المصريين عليها لن يكون سهلاً في بلادهم إذا لم يكن يساندهم نفوذ قوي.

غير أن دور أشرف مروان لم يقف عند هذا الحد في ذلك الصراع الساخن.

وقد ترددت في هذا السياق قصص غير موثقة.. من بينها قصة نسبت "الوفد" له فيها دورا، حين وصلت إلى مصر بعثة تليفزيون أرادت تصوير الحي الذي عاشت فيه أسرة الفايد في الإسكندرية. وقالت الوفد أن أشرف مروان وصل خصيصا إلى الإسكندرية كي يتابع عمل الفريق التليفزيوني ثم سافر مباشرة إلى لندن.

ورغم أن هذه لم تكن قصة مؤكدة.. إلا أن هناك تفسير آخر لسبب الخلاف بين الجانبين.. بين أشرف مروان ومحمد الفايد.. وهو سبب روته جريدة الوفد في ١٨ أبريل ١٩٨٥، ويعني بوضوح أن الحكاية كلها ليست سوى معركة

على "لقمة عيش كبيرة" والحكاية أن الفايد دخل فـي نـزاع تجاري لصالح ثري عربي أمام شركة يهودية في سويسـرا يملكها يهودي، دخل لحسابها في النزاع أشـرف مـروان.. والبداية كانت عبارة عن خلاف بين الثري العربي والشركة السويسرية حول تكاليف إجراء ديكـورات وتأثيـث طـائرة جامبو يملكها هذا الثري... الذي يرى أن التكاليف لا تزيـد على ٩ ملايين دولار بينما الشركة السويسرية "جيت فيشان" وصاحبها "كارل هيرش مان" يطلبان ٤٠ مليون دولار.

الشركة السويسرية تراجعت عن المغالاة فيما تطلبه. وبدأ النزاع يتحول إلى نزاع بين الوسيطين.. كلاهما يبحـث لنفسه عن أكبر قدر من الربح في عملية فض النزاع. وقـد أرسل أشرف مروان إلى محامي إخوان فايد يطلب مبلغ ٣٤ مليون دولار. وبالتالي وجد الإخوة الفايد أنه يريد من الصفقة ٢٥ مليون دولار.. فاستغلوا عبـارات خاصـة وردت فـي خطابه قالوا أنه بها تهديدا وابتزاز.. ومن هنا دقوا إسفينا بينه وبين الشركة السويسرية فأرسلوا لهـا مـا يعنـي أن هـذا الخطاب يقع تحت طائلة القانون الإنجليزي.. فأسرع محامي

الشركة بإرسال اعتذار إلى الفايد.. وفسدت خطـة الـ ـ ٢٥ مليون دولار.

وهناك قصة ثالثة ففي عام ١٩٨٩، وبعد أن انتهـت المعركة تماما، كشف النائب العمالي فـي مجلـس العمـوم البريطاني "دال كامبل سافورز" عن تورط أشرف مروان في الفضيحة.. وتقدم إلى المجلس بثلاثة طلبات إحاطة حول هذا الأمر. بني دال كامبل اتهامه بناء على اعتراف مكتوب مـن بريطاني آخر اسمه كوجهالان.. كان مكلفًا من قبل أشـرف مروان بإجراء عمليات تصنت على تليفونات محمد الفايـد.. وفي اعترافه أكد كوجهالان أنه اجتمع في يوم ٢٤ سـبتمبر ١٩٨٦ مع أشرف مروان لهذا الغرض. وفي هذا الاجتمـاع تم الترتيب لعمليات التجسس والتصنت. وفي اجتماع آخـر حضره كوجهالان وأشرف وباركهرست. وهو رجل أعمـال تربطه علاقة مع أشرف . تم تكليف كوجهـالان بالتصـنت على رقمين لآل الفايد.. هما ٤٩٣٠٧٧٣١ – ٤٩١٠٤٣٩٥

وقال كوجهالان في اعترافه: لقد تم التجسس بالفعل. وإنني أقر بأن أشرف مروان قد كلفني بهذا بسبب فوز الفايد بصفقة هارودز. وأنه كان يتصل أمامي مع تينـي رولانـد

مدير شركات لونرو. وأضاف: لقد حصل تيني رولاند على ثلاثة تسجيلات للمكالمات التليفونية للفايد مع مستشارهم القانوني. ولكن أشرف مروان طلب مني أيضا نسخًا من هذه التسجيلات لأنها تهمه بشكل خاص.

بقى أن نقول أن تكلفة عملية التصنت كانت تصل إلى ٨ آلاف جنيه استرليني في الساعة للخط الواحد، حسب ما جاء في طلب الإحاطة الذي تقدم به دال كامبل.

ورغم تلك الحرب الضروس بين الفايد ومروان، إلا أنه كانت هناك في نفس الوقت ملامح متاعب مشتركة بين الجانبين. وحقيقة الأمر كان أشرف مروان يعاني في نفس الوقت من نفس معاناة محمد الفايد في بريطانيا، وهو عدم قبول المجتمع له هناك باعتباره أجنبيا. وهو قال عن هذا: "إنهم يقولون عني أنني رجل غامض. ورغم أنني صديق لعدد كبير من رجال الإعلام والصحافة، إلا أنهم يطلقون على هذه الصفة لأنني أجنبي، ولا أدلي بأحاديث صحفية كثيرة. والإنجليز بطبيعتهم يرون أن كل أجنبي مختلف. وكل مختلف هو غامض"

لكنه تعرض لأزمة من نوع مشابه لتلك التي تعرض لها محمد الفايد. إذ أن قدم عرضا ذات مرة فـي منتصـف الثمانينيات وبينما صفقة هارودز دائرة، لشـراء مجموعـة محلات ستور هاوس التي تضم أكثر مـن ألـف معـرض وشركة تشمل مجموعة "هابيتات" و "مذر كير" و"هيلـزن" و "كونرانزن" و "بريتش هوم ستور".وقيل وقتها كيـف تتقـدم شركة مثل شركة أشرف مروان التي لا يزيـد رأس مالهـا على خمسة وأربعين مليون جنيه لشراء "ستور هاوس" بألفي جنيه استرليني. وقال هو: "ولم لا؟" ولكن رئيس الشركة التي تقدم أشرف لشرائها السيرتيرانس كونران قال: هذا عـرض مضحك كلفني للرد عليه أربعة ملايين جنيه استرليني. لكـن أشرف رد وقال: "في مجال العمل الحر كل شيء ممكـن"، والهزة الاقتصادية التي ضربت العالم منذ أسابيع جعلت أسهم "ستور هاوس" تنخفض إلى ألف ومائتي مليون جنيه فقط.

ولم يفز أشرف بالصفقة.

لكنه كان قد حقق عدة ضربات فـي بريطانيـا فـي غضون هذا الوقت، منتصف الثمانينيات وقبله.

إنه مثلاً في يونيو ١٩٨٥ اشترى ٥% مـن أسـهم وكالة الإعلام المالي والرياضي، بعد أن اشترى فـي بدايـة نفس العام ٥% من أسهم مجموعة صحف "فليت هولـدينجز" التي تملك صحيفة ديلي إكسبريس وعـددا مـن الصـحف البريطانية الأخرى.. ولكنه باع هذه الأسهم بعد فترة قصيرة وحقق بهذا أرباحا ضخمة.. حوالي ٢ مليون جنيه إسترليني.

وكان مجرد دخول أشرف مروان في صفقة وكالـة الإعلام "اكسيتل" قد أدى إلى ارتفاع قيمة السـهم مـن ٢٢٢ بنسا إلى ٢٤٨ بنسا فورا.

قبل هذا بعام وفي ١٩٨٤ اشترى أشـرف أسـهما بثلاثة ملايين جنيه إسترليني في شركة " بولي بـوك" التـي كان يرأس مجلس إدارتها البريطاني التركي الأصل أصـيل نادر. وقد تم الشراء عن طريق شركة يملكها أشرف مسجلة في ولاية جيرسي الأمريكية مع شركائه كمال أدهم وأكـرم عجة وصبحي رشدي وفهد وعلى الشبكشي.

وبعد هذا بعامين في عام ١٩٨٦ عـرض أشـرف مروان مليار دولار مع تيني رولاند على المسئولين في ليبيا لشراء امتيازات النفط الأمريكية في ليبيا، بالاشـتراك مـع

شركات بترول أوربية مقرها لوكسمبورج.. وكان السبب هو أنه انتهز فرصة تصفية الشركات الأمريكية لأوضعها بعـد الغارة الأمريكية على ليبيا عام ١٩٨٦.

هذه الصورة العاجلة توضح لنا موقف الاثنـين فـي بريطانيا، وهي أيضا توضح الدور المؤثر الذي لعبه أشرف مروان في محاولة لإفساد الصـفقة. وهـو دور قـد يفسـر لأسباب لها علاقة بشراكته مع تيني رولاند.. وبأن هذا العلم جزء من توطيد العلاقة .. وربما يفسر أيضا لأسباب خاصة لها علاقة بالعداء بين الفايد وعدنان خاشقجي، بينما أشـرف مروان على علاقة وطيدة بالأخير.. وربما يمكن أن تفسـر كذلك لأسباب خاصة بالغيرة.. أو بمنافسـات سـابقة فـي الأسواق.. أو لأنه مصري ولا يريد لمصري آخر أن يجتذب منه الأضواء في لندن، رغم أن أشـرف مـروان لا يحـب الأضواء.

إنها احتمالات عديدة، إذا أضفناها إلى بقية التفاصيل، سوف تكون لنا جزءا من ملامح صورة الصراع بين رجال الأعمال المصريين في الخارج.. وبالتالي كثيرا من ملامـح صورة حياة محمد الفايد..

٦

عملية التجميل

• جون ميجور.. اركع!

" كانت أصابع الحكومة تحت ضرس الفايد، وأصابع الفايد تحت ضرس الحكومة.. وكان كل منهما يحاول أن يجعل الآخـر يصـرخ ويعلن الاستسلام ".

حسنًا.. لقد أخذت "الهاردوز".. أخذت بـرج إيفـل البريطاني.. أخذت أهرامات لندن.. إنها لـك.. ولكـن لـن تستفيد بها.. لن تحصل على المكانة الاجتماعية التي يمكـن أن توفرها هذه الملكية.. لن تسعد بها.. لن تصبح بريطانيا.. لن نقبلك بيننا. وستبقى أجنبيا.. تعامل معاملة الغريب.. الذي ننظر له بقرف.. ونتحدث عن أصله وفصله.. ثم نقول إنـه ليس منا.

وكأن تلك هي الرسالة التي تلقاها محمد الفايد بعد أن حصل على هارودز. وبعد أن أصبح في غضـون سـنوات قليلة واحدا من أغنى أغنياء بريطانيا.. ربما أغنى من الملكة إليزابيث نفسها حسب بعض التقديرات.

إن تلك هي واحـدة مـن أهـم سـمات المجتمـع البريطاني.. لا يقبل أن يضفي صفة من طابع خاص علـى من لا يريد أن يحصل على هذه الصفة.. إذا لـم تكـن قـد انطبقت عليه المواصفات.. لا يمـنح صـفة الارسـتقراطي الفخيم لمن يظن أن أصوله كانت متواضعة.. وهـي حالـة خلقت جدلا.. وصراعا.. وصداعا.

وهي حالة أدت إلى رفض هذه التقاليد – ليس فقـط حصول محمد الفايد على الجنسية البريطانية- وإنمـا أيضـا إلى رفض منحه أية علاقة وثيقة مع المؤسسة الأرستقراطية الحاكمة كما حدث في حالة زواج ابنه عماد الذي لم يتم مـن الأميرة القتيلة ديانا.

وهي حالة عبرت عنها صحيفة هيرالـدتربيون فـي سبتمبر ١٩٩٧ بقولها: "إن قصـة الفايـد تصـور بمنتهـى الوضوح التضارب الحادث في المجتمع البريطـاني – إنـه ليس فقط تضاربا أو تناقضا.. وإنما هو صراع بين اقتصـاد الإنجاز فيه أهم من أصـول العائلـة وجـذورها.. وبـين إمبرطورية قديمة، لا تثـق فـي نفسـها، تصـارع ضـد المهاجرين، الذين نجح أشخاص منهم في تحويل عـدد مـن متاجر البقالة الصغيرة إلى مؤسسة هارودز الضخمة بأسلوب أكثر تفوقًا من أي رجل أعمال بريطاني".

ومن المؤكد أن محمد الفايد لو كان يعـيش فـي أي دولة أخرى غير بريطانيا، لكان قد واجه مصاعب أقل. بـل ربما كان إذا عاش في الولايات المتحدة قـد حصـل علـى جنسيتها منذ زمن طويل.. حيث هذه هي طبيعة المجتمـع..

جمع أشلاء الناس من مختلف أنحاء الدنيا.. وتحويلهم إلـى مجموعة من التروس في الماكينة الأمريكية العملاقة.. بدون النظر إلى البلد الذي جاءوا منه.. وبدون التحقيق في جـذور الأسرة.. لأن المجتمع نفسه يتكون أصلاً من مجموعة مـن المجرمين والمساجين والمهاجرين الـذين لفظـتهم الأرض القديمة.. ورحلتهم إلى الأرض الجديدة حيث نجحوا في خلق هذه الدولة العملاقة.

وربما لو أنه كان يعيش في فرنسا لكان قـد عومـل معاملة من نوع آخر. بل إنه بالفعل عومل هناك في بـاريس معاملة من نوع آخر.. حيث اشترى فندق "الريتـز".. هـذا الفندق الذي يعتبر واحدا من علامات باريس.. والذي تم فيه العشاء الأخير بين عماد ابن محمد الفايد والأميرة ديانا، قبل أن تنطلق بهما السيارة المرسيدس إلى نفق "ألمـا".. حيـث النهاية... هذا الفندق الذي حافظ محمد الفايد علـى ملامحـه وأعاد ترميمه وأعاد له رونقه وبهـاءه.. ممـا دفـع جـاك شيراك.. الرئيس الفرنسي الحالي – حين كان عمدة لباريس أن يعلن عن تقديره الخاص لمحمد الفايد.. وأن يتـوج هـذا

التقدير بمنح الفايد وساما فرنسيا خاصا تعبيرا عـن احتـرام فرنسا لما قام به.

بريطانيا بهذه المقاييس مختلفة.

فعلى الرغم من أنها تمنح جنسيتها لعدد كبيـر مـن المهاجرين.. ورغم أنها يمكن أن تحتوي عددا من معارضي الدول العربية.. وعددا آخر من المتطرفين.. ورغـم أنهـا يمكن أن تمنح هؤلاء حق اللجوء السياسـي- إن لـم يكـن الجنسية.. إلا أنها بخلت على هذا الرجل الذي يعيش بها منذ ما يزيد على ثلاثة عقود بالجنسية.. وظلت دائما ترفض طلبه هو وإخوته أن يحصلوا عليها.

وأتصور أن هذا ربما يكون نوعا من نتائج الضغوط التي نجح فيها حتى الآن عدد كبير من منافسي محمد الفايد.. منافسون خلقتهم معركة محلات "هارودز"

لكنني أيضا أظن أن هذا الرفض الدائم لمنح محمـد الفايد الجنسية البريطانية هو نوع من التعبيـر عـن حالـة خوف.. خوف من الغموض الذي يكتنف خطط هذا الرجـل ... إنهم لا يضمنون ما الذي يمكن أن يفعله.. لو اكتمل لـه

مثلث السلطة.. مثلث النفوذ.. المكون من أضـلاع: المـال، الذكاء، النفوذ السياسي.

وحتى الآن فإن لدى محمد الفايد ضلعين على الأقـل من أضلاع هذا المثلث... ضلع المال.. وهو وفير للغايـة.. وضلع الذكاء وهو يفوق التصور إلى حد أن هناك من يصفه بأنه الرجل القادر على ممارسة لعبة السلطة بكفاءة عاليـة.. بينما لم يكتمل له الضلع الثالث بعد ... لأنه ليس بريطانيا.

وقد أعطاهم الفايد في مرات كثيرة مؤشرات مختلفة على أنه لو اكتمل له هذا المثلث سوف لا يتمكن أحـد مـن إيقاف قطاره العملاق.. فهو بدون الجنسية البريطانية اشترى هارودز، وبدون الجنسية البريطانية أقال وزيرين من حكومة حزب المحافظين، وأثار جدلاً في مجلس العمـوم، وسـبب أزمة سياسية، وأحرج رئيس الوزراء السابق جون ميجـور، بل وطالبه باعتذار علني، وجعل مارجريت تاتشر تطلب منه أن يتخذ مجموعة من الإجراءات لدعم الجنيه الاسـترليني، وصادق العائلة المالكة.

فما الذي يمكن أن يفعله هذا الرجل لو حصل علـى الجنسية البريطانية؟

من يوقفه إذن بعد أن يدخل نادي المواطنين.. بما لهم من حقوق سياسية، لا يمكن أن يوقفه قانون؟

إذن ليبق محمد الفايد أجنبيا.. ليظل دائما في معركة عقيمة.. تبعده تماما عن أية معارك أخرى لا يجب أن يفوز بها.

والواقع أن محمد الفايد حين خرج من معركة محلات "هارودز" وشركة "هاوس أوف فريزر" التي تمتلك هذه المحلات.. لم يكن فائزا تماما. فقد كانت المعركة من النوع الضروس.. العنيف.. الذي استخدمت فيه كافة أنواع الأسلحة.. ووجهت فيها إلى الأجسام كافة أنواع الأعيرة النارية والقنابل والصواريخ.. وعلى الرغم من أن الفايد حصل على هدفه من المعركة، إلا أنه خرج منها مصابا إصابة بالغة.. يمكن وصفها بأنها عاهة مستديمة.. ستبقى مثل ندبة في وجهه إلى فترة ليست قصيرة..

وكما اتضح من قبل فإن هذه "الندبة" هي التقرير الذي أصدره مفتشو وزارة التجارة البريطانية، والذي تضمن في ملف ضخم اتهامات قاسية لآل فايد.. وليس لمحمد وحده.. وقال أنهم قدموا ادعاءات غير صحيحة حول ثروتهم

الشخصية ومصدر هذه الثورة ومنشئهم.. في سياق محاولتهم الحصول على صفقة شركة "هاوس أوف فريزر"

والواقع أن هذا التقرير لم تكن له أية قيمة قانونيـة.. بمعنى أنه لم يتسبب مثلاً في اتخاذ أي نوع من الإجـراءات ضد الأسرة المصرية القادمة من الأنفوشي إلى لندن.. ولـم ينتج عنه التحقيق مع محمد وإخوته.. ولم يؤد من أية قضية أو محاكمات أو إجراءات.

لقد خلق التقرير انطباعا سيئًا عن آل الفايد.. جعلهم مجموعة من "الفهلوية" الذين يخطفون المكاسـب ويربحـون أموالاً بدون تعب.. إنه تقرير كما قلنا حفر "ندبـة" شـوهت وجه آل الفايد الذين يحاولون أن يجعلوه يبدو جميلاً.

وقد كان التقرير الضخم قويا، بحيـث ازداد عمـق الندبة في وجه الأسرة.. فصارت حفرة.. حتـى أن محمـد الفايد نفسه قال: إن هذا التقرير أدى إلى تدمير سمعة الأسرة، وبالتالي فإنه حرمها من الثمرة المعنوية لنجاحها في السيطرة على الشركات في تاريخ بريطانيا.

إنه بمعنى آخر تقرير لم يمنح أسرة الفايد الفرصـة كي تنعم بالانتصار.. جعلها تفوز وتجلس فوق مقعد هارودز

بعد أن زرع في وسادة هذا المقعد مئات من الأشواك.. فكان مذاق النصر مرا.

وقد حاول محمد الفايد أكثر من مرة إجراء عملية تجميل لوجه الأسرة.. عملية لإزالة الندبة.. التي هي آثار التقرير.. والانطباع السيئ الذي خلفه.. لكن كل العمليات فشلت.. ولم يدخل محمد الفايد مرة واحدة غرفة الجراحة بمشرطة البارع إلا وخرج مكلوما مهزوما.

إنه مثلاً، وفي محاولة يائسة، رفع دعوى هذا التقرير أمام محكمة حقوق الإنسان الأوربية.. لكنه خسرها في عام ١٩٩٤.

وفي عملية تجميل أخرى رفع دعاوى قضائية في بريطانيا لمنع تداول هذا التقرير، باعتباره لم يخضع لأية عملية تدقيق قضائي.. ولكنه أيضا فشل.

وفي مرة ثالثة حاول ممارسة ضغوط مباشرة على الحكومة كي تسحب التقرير.. ولم ينجح.

وحين فشل في العمليات الجراحية، لجأ إلى المسكنات، هبط إلى الحد الأدنى، إلى أدوية تصور أنها يمكن أن تنجح فيما فشلت فيه العمليات الجراحية.. فراح في كل

مكان يقدم الإسهامات الخيرية، والتبرعات، ويتبني القضـايا الإنسانية، وينفق على عـلاج أطفـال مصـابين، ويمـول مؤسسات اجتماعية عديدة.. كانت بينها مؤسستان ترعاهمـا الأميرة القتيلة ديانا.

ولكن الماكينة البريطانية التي أفشلت له من قبل كـل العمليات الجراحية لتجميل وجه الأسرة.. راحت من جديـد تضع سما في الدواء الذي يتجرعه.. وهكذا حين تبرع الفايد بمليون دولار لعلاج طفل بريطاني في عام ١٩٩٣ ، راحت الصحف تستخدم هذا الخبر ضد الأسرة.. وتقول أن محمـد الفايد يريد أن يخدعنا ، ويحاول أن يبدو كما لو أنـه رجـل خير.. ولو أنه رجل خير حقًا لماذا يتبرع لأطفال بريطانيـا ولا يتبرع لأطفال مصر؟

والمعنى الذي أرادت الصحف توصيله واضح.. فهي تريد أن تقول أنه لا يفعل الخير من أجل الخير.. ولكن لأنه ينافق المجتمع البريطاني.. وبدا وكأن الصحف وضعت كمية هائلة من الرمل على الطبق الذي تصور محمد الفايـد أنـه شهي.

ولم يصل الرمل إلى فم البريطانيين فقط ولكنه أيضا وصل إلى مصر. ومن هنا راحت الأسرة تحاول إزالة آثـار عدوان الصحافة الأخير.. في بريطانيا.. وفي مصر.. هناك قالوا : "نحن لم نتبرع لهذا الطفل بمليون دولار أمريكي كي يعالج لأنه طفل عادي، ولكن لأنه ابن أحـد العـاملين فـي مؤسسة الفايد.. وقد تقرر أن يعالج من خلال إحدى مؤسسات الأسرة الخيرية"

وفي مصر تركوا للكاتب الراحل مصـطفي أمـين مهمة الترويج لهم. والدفاع عنهم.. خاصة أن مصطفى أمين كانت تربطه علاقة وطيدة بمحمد الفايد.

لقد قال مصطفى أمين في عموده الأشهر " فكرة" في ٢٥ مارس ١٩٩٣ بجريدة الأخبـار: " إن لمؤسسـة الفايـد الخيرية تبرعات عديدة في مصر. وهي تـدعم المؤسسـات الخيرية، ودور الرعاية الاجتماعية والصحية.. وقد تبرعـوا مثلاً بخمسة آلاف كرسي للمعوقين، قدرت قيمتهـا بحـوالي مليون و ٢٠٠ ألف جنيه، وتبرعوا بمائتين وخمسين عصـا للمكفوفين تقدر بحوالي ٢٠٠ ألف جنيه، وتبرعوا بـأربعين جهازا لغسيل الكُلى تقدر بحوالي ٦٠٠ ألـف جنيـه.. وتـم

توزيع هذه التبرعات على مواقع متعددة في الجمهورية مثل "ليلة القدر" ودار التحرير للطباعة والنشر، ووزارة الشـئون الاجتماعية وجريدة الوفد، وجمعية مسـجد أهـل التوحيـد وجمعية التوفيق والشباب القبطية، وجمعية الطفولة السـعيدة ومستشفى دير المحرق بأسيوط، ومستشفيات القوات المسلحة وجامعة الإسكندرية، ومستشفى دمياط العام، ومستشفى أبـو الريش.. وغيرها.. بخلاف تبرعات ضحايا الزلزال وتقـدر بخمسة ملايين جنيه"

قبل هذه القائمة الطويلة برر مصطفى أمين الهجـوم على محمد الفايد بأنه: "يعود إلى حزب أعداء النجاح الذي له فروع في كل مكان. ومن ضحايا هذا الحزب أولاد الفايـد في لندن.. الذين اتخذت الصحف في بريطانيا مـنهم مـادة للهجوم على كل ما هو مصري ناجح"

واقع الأمر أن مصطفى أمين كان يقوم فـي مصـر بواحدة من أدوار ماكينة العلاقات العامة الضخمة التي وظفها محمد الفايد في إطار تجرعه لمجموعة من الأدوية المسـكنة تحاول إزالة آثار ندبة التقرير. لكنه كان يلعب هذا الدور - أي مصطفى أمين - من حين لآخر.. في حـين خصـص

الفايد لهذه المهمة في بريطانيـا صـحفيا بريطانيـا عريقًـا ومرموقًا هو مايكل كول. الذي صار متحدثًا باسم العائلـة.. وعرف كثير من الناس اسمه في مصر حين تردد كثيرا أثناء علاقة عماد الفايد بالأميرة ديانا وفيما بعد حادث نفق ألما.

ومايكل كول هو الذي خرج للصـحافة فـي عـام ١٩٩٥ ليقول: "إن محمد وعلى الفايـد يعتـزان بأصـلهما المصري، وأن طلبهما الحصول على الجنسـية البريطانيـة مرتبط بتسهيل تحركهما أثناء السفر"

هذا التصريح صدر عن المتحدث باسم العائلة حـين لقيت أسرة الفايد صدمة جديدة من المؤسسـة البريطانيـة.. بسبب هذه الندبة المحفورة في وجوهم.

وكانت هذه الصدمة عبارة عن رفض جديـد لمـنح الأخوين محمد وعلى الفايد الجنسية البريطانية.. على الرغم من أن لديهما كل المواصـفات والشـروط القانونيـة التـي تؤهلهما لهذا. فهما يعيشان فـي بريطانيـا منـذ منتصـف الستينيات، ويستثمرون ملايين الجنيهـات الاسـترلينية فـي بريطانيا، ويوظفون نحو ستة آلاف عامل وموظف بريطاني، وفوق كل هذا فإن لمحمد الفايـد ولـدين وبنتـين يتمتعـان

بالجنسية البريطانية، وهو ما ينطبق أيضا على أولاد علـى الفايد الثلاثة من زوجته البريطانية.

لقد سبق على الفايد أخاه محمد وتقدم في عام ١٩٩٣ إلى وزارة الداخلية البريطانية بطلب لمنحه الجنسية. ثم تقدم أخوه محمد في العام التالي بطلب مماثل.. وقال إنه هو أيضا يريد الجنسية البريطانية.. هكذا كان الطلبان منفصلين.. لكن الأخوين تلقيا في وقت واحد ردا واحدا من الدولـة.. وكـان الرد هو الرفض.. وكان صاحب الـرد الموحـد المتماثـل الكلمات هو نيكولاس بيكر وزير الهجرة البريطاني.

في هذه الفترة، أي في مارس ١٩٩٥ وبعد عـامين من معركة التبرعات مع الصحافة، قالت مصادر بريطانيـة لجريدة الشرق الأوسط العربية التي تصدر فـي لنـدن: "إن ملف الأخوين الفايد من الحساسية إلى درجة أقنعت مايكـل هيوارد بتحويله في مناسبتين متتاليتين إلى وزيـر الهجـرة، ورفضه بالتالي البت فيه مباشرة وبنفسه، في محاولة منه كي يتجنب الانزلاق إلى مواجهة شخصية مع الفايد"

وهذا الرفض، كان له مغزى واضح، فالفايـد الـذي يوصف في بريطانيا بأنه "الرجل البشوش.. العنيد.. الجـاهز

لخوض كل أنواع المعارك" سوف يظل أسير بطاقة الإقامـة التي يضعها في جيبه منذ سنوات طويلـة.. وهـي ورقـة ضعيفة رسميا.. يمكن خرقها في أي وقت. وهـي ورقـة لا يمكن بمواصفاتها الضعيفة أن تقضي كـل هـذه المصـالح العملاقة في بريطانيا.. بعكس الجنسية التي لا يمكن التلاعب بها ، ولا يمكن خرقها إلا بقرار من الملكة وحدها.

ومن هنا كان رد محمد الفايد وأخيه عنيفًا.. إذ رأى أن قرار الرفض عمل "تمييزي".. وأصدر بيانًا قال فيه: "هذا قرار غير منصف، وقائم على التحامل. فنحن في بريطانيـا منذ سنوات عديدة، ونفذنا في قطاع الأعمال فـي بريطانيـا عمليات استثمارية كبيرة، وقمنا بمبادرات إيجابية في الحيـاة العامة في البلاد".

ولكن وزارة الهجرة لزمت الصمت. خاصة أنهـا – قانونًا – لا تعطي سببا لرفضها منحه طلب الجنسية.. وهـي دائما تحيط هذه الطلبات بكتمان شديد.. وفي نفس الوقت فإن الطعن في هذا القرار ليس سهلاً بحكم قانون فصل السلطات المعمول به في بريطانيا. وفي نفس السياق فإن هنـاك مـن

رأى أن قرار الرفض لا يخلـو مـن اعتبـارات عديـدة.. اعتبارات لها علاقة بسيرة الأسرة في بريطانيا.

لكن الفايد حاول إقناع الرأي العام بأن الرفض قرار سياسي هو المقصود به.. وبدون أسباب قانونية.. غير أنه لم يتمكن من إثبات هذا في القرار.. لأنه قرار سيادي.. وحسب التفسير القانوني؛ فهو ليس حقًا لمن يطلبه حتى لو كان يقـيم في بريطانيا منذ زمن.. ومن هنا فإن من أصدر القرار يتمتع بحماية من نوع خاص لأن القانون يعطيه الحق في ألا يعلن ما هو الأسباب التي دعته إلى رفض الطلب.

وقد وضعت المؤسسة البريطانية يدها على قلبها حين قال محمد الفايد أنه سوف يطعن في القرار.. وقالت الصحف في ذلك الوقت: "إن ما قاله الفايد يثير مخاوف عديدة من أن يفجر فضائح جديدة حين يكشف النقاب عن قصـص غيـر معروفة للرأي العام"

وكان لهذا الانطباع سبب بالتأكيد.

فمنذ تمت معركة "هاردوز" دخل الفايد في صـراع مع الحكومة.. وبدا وكأن الاثنين يخوضان معركـة "عـض الأصابع".. كل منهما يقضم يد الآخر.. دون أن يصرخ وكل

منهما يمضي قُدما بأسنانه في إيلام الآخر.. بينما ينتظر من يراقبون الموقف من يصرخ أخيرا ويعلن الاستسلام.. ومـن ينجو أخيرا ويضحك في النهاية ويعلن له الفوز..

وقبل أن توضع أصابع الفايد تحت ضرس الحكومـة البريطانية في المرة الأخيرة، التي رفض فيها طلب الجنسية، كان هو أيضا قد عض أصابع الحكومة مرتين.. الأولى هـو خطط لها والثانية دفع إليها وفاز بها.

الأولى بدأت بدعوة قضائية سـنترك أمرهـا الآن.. ولكننا سنصل إلى نتيجتها.. والنتيجة هي هـزة سياسـية.. واستقالة وزيرين في الحكومة.. لأن الفايد- الأب – قرر أن يعض أصابع الحكومة بقوة.. وأعلن في نهاية عام ١٩٩٣ أن هناك نوابا في مجلس العموم قبلوا منه أموالاً كـي يقومـوا بطرح أسئلة معينة في البرلمان البريطاني.

وحدثت ضجة.. وسقط الوزير الأول، فهو عضو في مجلس العموم وثبتت إدانته.. ثم سقط الثاني.. وعلـى حـد تعبير الكاتب الصحفي محمود عطا الله فإن " مجلس العمـوم اهتز.. عمالاً ومحافظين وأحرارا علـى السـواء، وتحـول انتصار جون ميجور في أيرلندا الشمالية – وهو أكبر إنجاز

قومي بريطاني منذ أن ربح تشرشل الحرب العالمية الثانية- تحول فورا إلى شيءٍ منسي لتغرق بريطانيا كلها في تفاصيل الصراع بين هارودز و ١٠ دواننج ستريت".

ولم يكتف الفايد بأن يضع إصبعا واحدا لجون ميجور – رئيس حزب المحافظين ورئيس الحكومة – تحت أسنانه، بل وضع أصابع أخرى.. وقضم عدة عقلات منها، إذ راح يتهم وزير شئون الخزانة جوناثان إتيكنز بأنه نزل في فندق "ريتز" الضخم في باريس.. الذي يملكه الفايد وقبل أن يسدد الفاتورة رجل أعمال خليجي، تربطه بالوزير علاقة عمل سابقة.

وكانت الضربة قوية.. إذ راح الهجوم الذي أطلقه الفايد يجد له صدى في الأوساط السياسية والصحف.. وكان أن كتب أحدهم يطالب جون ميجور بأن يطرح على نائب مجلس العموم عددا من الأسئلة على ما حدث في فندق "ريتز" راحت أيضا تتناول موضوعات أخرى حول ثروة الوزير وأملاكه وسلوكه المالي.. وهي أسئلة بدت وكأنها تشكك في الذمة المالية للوزير. وهي هامة جدا لأنها تشرح لنا القصة بطريقة مختلفة.

ولنقرأ بعض هذه الأسئلة حتى نعرف حجم الأزمـة التي سببها محمد الفايد:ـ

١- إذا كان مرتبك من البرلمان في عام ١٩٩٠ بلغ ٢٦,٧٠١ ألف جنيه استرليني، وبجانبه مرتب زوجتك التـي تعمل سكرتيرة، ودخلك الآخر الذي لا يزيد علـى عشـرة آلاف جنيه استرليني.. فكيف استطعت أن تسدد قرضا قدره ٤٠٠ ألف جنيه استرليني، دون أن تبيع شقتك في لندن؟

٢- ما هي نوعية اللقاءات التي تمت بينـك وبـين وزراء الصحة لصالح شركة رجل الأعمال الخليجي جرير – اسمها " يو- إس – تو – باكو " وكيف عبـرت لهـم عـن اهتمامك بأمر هذه الشركة؟

٣- وهو سؤال خاص بأمور أخرى.. ما هي صلتك بشركة "بلاتوه" للمناجم بعد أن أصبحت وزيرا، ولماذا ذكرت في قسم مصالح الأعضاء في مجلس العموم أنك استقلت منها في بداية يوليو ١٩٩٠، عندما دخلت الحكومة، بالرغم مـن أنك استقلت فقط بعد ذلك... وبصفتك وزيرا لماذا حضـرت اجتماعات هذه الشركة؟

٤- بالنسبة للخطابات التي وقعت عليها لصالح محمد الفايد وأرسلتها للوزراء، أي من هذه الخطابات كتبتها أنـت؟ وأيها كتبها رجل الأعمال الخليجي "جريـر"؟ وأيهـا كتبهـا المحامون التابعون لمحمد الفايد؟

٥- لماذا تكلمت في البرلمان نيابة عن محمد الفايد ومن أجل مصالحه، رغم أنك تعلم أن تقريـر الـ ـ Dit – وزارة الصناعة والتجارة – الصادر في عـام ١٩٨٨ كـان ضده؟ وقد نشر هـذا فـي جريـدة الأوبزرفـر يـوم ٣٠ مارس١٩٨٩؟

٦- هل اعترفت بكل المبالغ التي حصلت عليها من رجل الأعمال الخليجي وعملائه في قسم مصالح الأعضـاء بمجلس العموم.. وإن لم تكن قد اعترفت.. فلماذا لم تعترف؟

٧- عندما التقيت بالوزراء نيابة عن محمـد الفايـد كيف فسرت لهم ذلك، وكيف بررت لهم اهتمامك بشئونه؟

٨- حين قرأت فاتورة إقامتك في فندق "ريتز" وبعد أول أسبوع لك في باريس اتضح أنك .. أنـت وزوجتـك.. كنتما تتناولان أطعمة ومشروبات في المطعم بـ ٢٥٠ جنيها استرلينا يوميـا.. حسـب أسـعار عـام ١٩٨٧.. ولمـدة

أسبوع..فلماذا لم تتناول طعامك خارج الفندق ولو لمرة واحدة.. لاسيما أنكما في كل يوم تطلبان إفطار الشمبانيا الخاص بالفندق.. كما اتضح من فاتورة البار الصغير في غرفتك أنك كنت تتناول كميات من أعلى أنواع الكحوليات؟

٩- هل كتبت خطاب شكر للفايد على هذا، وعلى استضافته لك، أم كنت تشعر أنه فقط يرد لك دينًا عليه؟

١٠- كم منتَجا من محلات هارودز وصلت إليك بدون مقابل في الأعوام الماضية؟

١١٢- لقد قضيت أنت وزوجتك عطلات صيفية في ضيافة الفايد في فندق "ريتز" عام ١٩٨٧، ثم في مقره بمقاطعة "بالنجاون" في اسكتلندا عام ١٩٨٩، وقبل ذلك سافرت إلى نيو أورليانز وإسبن في عطلات أخرى مع زوجتك... فمن الذي دفع قيمة هذه العطلات؟

لقد بدا من هذه الأسئلة، وغيرها أن الفايد سبب ارتباكًا في الحياة السياسية في بريطانيا.. وقد كانت البداية من نوع غريب.

بداية في تاكسي.. إذ ركب هذا التاكسي نائبان في مجلس العموم.. وراحا يتكلمان.. والسائق يسمعهما..

ويتحدثان عن محمد الفايـد كثيـرا.. ويسـبان ويشـتُمان.. ويقولان أنه يحاول أن يشتري طريقه بـالفلوس.. وكـان أن أبلغ السائق محمد الفايد بهذا.. فرفع ضدهما دعوى قضـائية أنهما هاجماه ظلما وعدوانًا.. وكان هذان النائبان من حـزب المحافظين الذي يرأسه جون ميجور.

لكن جون ميجور لم يغفر لمحمد الفايد هذا الإحراج الذي سببه له.. وكان أن قرر رد القاـم للفايـد.. وكـان أن تطور الموضوع فصار إحراجا لجون ميجور رئيس الوزراء البريطاني نفسه.. حتى وصل الأمر بمحمد الفايد أن طلـب منه اعتذارا علنيا..

ففي خطوة غير مسبوقة، وفي عام ١٩٩٤ ألقى جون ميجور أمام مجلس العموم البريطاني بقنبلة.. قنبلـة جعلـت المواجهة بين المؤسسة البريطانية والفايد تصـل إلـى ذروة غير مسبوقة.. بل غير متوقعة... وكانت القنبلة هي إعـلان ميجور إنه بنفسه تلقى عبر طرف ثالث.. وسيط.. طلبا من الفايد بسحب تقرير وزارة التجارة والصناعة عن أسرته.

إن الفايد – حسب رواية جـون ميجـور- يحـاول إجراء عملية تجميل جديدة للندبة التي تشوه وجه العائلة.

وقد وجدها ميجور فرصة كي يلقى بالقفاز في وجـه محمد الفايد.. حين وجه اتهاما له.. وقال: "لقد قررت تسـليم نسخة مسجلة من شريط المكالمة الهاتفية التي تمت معي في هذا الأمر إلى المدعي العام، كي يرى ما إذا كان طلب الفايد يقع تحت بند الابتزاز"

ولكن لماذا الابتزاز؟

الإجابة على لسان جون ميجور، إذ قال: "إن المقابل الذي عرضه محمد الفايد عبر الوسيط هـو "الامتنـاع عـن كشف أسماء نواب ووزراء محافظين تقاضوا منـه أمـوالاً ورشاوى"

وبدا رئيس الوزراء البريطاني كالحمل الوديع.. حين قال: "لقد رفضت إجراء أيـة ترتيبـات معـه" ورد علـى الوسيط- حسب ما قال ميجور نفسـه – موضـحا: " إننـي سوف يتعذر على مقابلة محمد الفايد في مثل هذه الظـروف، وإنه إذا كانت هناك مخالفات من بعض الوزراء كما يقـول الفايد؛ فإنه لن يقدم أية تسويات تضر بسمعة حكومته".

وأرسل جون ميجور مذكرة بهذا الموضـوع إلـى المدعي العام. لكن المدعي العام رأى أنه لا توجد أية شبهات

للابتزاز. وبالتالي لا يوجد مبرر لكي تتم ملاحقة محمد الفايد قضائيا.

وقبل أن يحدث هذا كان الفايد قد أصدر بيانًـا قـال فيه: "إنني لم أسع مطلقًا إلـى ابتـزاز جـون ميجـور أو الحكومة. لأنني أدرك تماما عبثية طلب المستحيل.. إنني فقط سعيت للقاء ميجور مدفوعا بشعور بالغبن والظلم طوال فترة تحقيق الوزارة في صفقة هارودز التـي تمـت فـي عـام ١٩٨٧.. وإنني أنبه نائب مجلس العموم بيتر تـابس بـأنني سأقاضيه لو ردد تهمة الابتزاز هذه خارج البرلمان"

بدا إذن أنه قوي للغاية.. وأنه يملك أوراق اللعبة كلها تقريبا.

وبدا إذن أن القنبلة التي ألقاها جون ميجور لم تكـن منزوعة الفتيل، وتحولت إلى قطعة من الحديد لم تصل حتى إلى أقدام محمد الفايد.. وبدا المليـاردير المصـري مـؤثرا للغاية.. إذ راحت الدوائر تدور.. وراحت الحكومة تحـاول لملمة الخسائر وجمع الشتات.

فوفـقًا لصحف لندن في هذا التوقيت فـإن وزيـر الداخلية حين ذاك – مايكل هيوارد- رضخ فعـلاً لتحقيـق داخلي حول شائعات تقول إنه تلقى رشاوى هو الآخر.

ومن جانبه رفض الوزير في وزارة التجـارة نيـل هاملتون- الذي طرحت الصحف عليه الأسئلة الاثني عشر- أن يستقيل، وقاوم حتى النهاية.. ولكنه رضخ في النهاية إلى أن يوقع استقالة وصفتها الصحف بأنها "إقالة" بعد أن اجتمـع به وزير التجارة مايكل هيزلتاين ومسئول الانضباط النيـابي الحزبي ريتشارد رايدر.. وواجهوه بتهم جديدة، وبأنه أخفـى مصالح تجارية خاصة به.

واضطر جون ميجور لأن يبرر الاستقالة قائلاً: "لقد قبلت استقالة هاملتون لأنني شعرت أن التهم التي يواجههـا عنصر معطل لسير العمل الحكومي".

وأضاف أنه: "في بيان مكافحة الغمز واللمز حـول سلوك الوزراء وكبار المسئولين، شُكلت هيئة برئاسة قـاضٍ في الاستئناف هو اللورد نولان.. ستفوض بمهـام التحقيـق وإجراء التطهير"

أزمة مثل هذه لم تكن لتمـر بـالطبع مـن حـزب العمال.. الذي كان معارضا في ذلك الوقت.. واعتبر أن مـا يحدث هو "عملية مغلفة لتبرئة سـاحة الـوزراء المتهمـين والمتستر عليهم ومن ثم على الحكومة"

ولم يشأ محمد الفايد إلا أن يضع مشهدا ختاميا لهـذه الجولة.. حاصدا الانتصار الأخير فيها.. فأرسل خطابا إلـى جريدة "التايمس".. يقول فيه معقبـا علـى اتهامـات جـون ميجور: "أعتقد أن لدى رئيس الوزراء عملاً واحـدا علـى الأقل يتحتم عليه أن يوليه اهتمامه قبل أن يودع عام ١٩٩٤. فقد استخدم مستر ميجور سلطاته في توجيه ادعـاء بـذيء بالابتزاز ضدي. وعلى إثر ذلك انتهز عـدد مـن أعضـاء البرلمان الفرصة، ووجهوا لي ادعاءات أخرى، لا أساس لها أيضا من الصحة في حماية الحصانة البرلمانية ".

"وفي يـوم ٢٥ نـوفمبر، أصـدر المـدعي العـام البريطاني بيانًا مذاعا، أوضح فيه أننـي لـم أرتكـب أيـة مخالفات يعاقب عليها القانون الجنائي، وقد صدر هذا البيـان على ضوء التقرير الذي تلقاه من بوليس العاصمة، وأضاف البيان أن المسألة لم تعد في حاجة للمزيد من التحقيق ".

" وتوقعت بطبعية الحال أن ينتهز رئـيس الـوزراء أول فرصة لوضع الأمور في نصابها الصحيح، وفي نفـس المكان الذي بدأت منه أصلاً وهو مجلس العموم البريطاني.. لكني لم أجد غير الصمت ".

"وفي يوم ١٢ ديسمبر كتب المحامون الذين يتولـون الدفاع عني إلى رئيس مجلس العموم مشيرين إلـى واجـب رئيس الوزراء الواضح تجاه المجلس.. والذي يتلخص فـي سحب الآثار المؤلمة التي سببتها هذه الادعاءات التي لقيـت رواجا كبيرا "

وفي اليوم التالي رفـض مجلـس العمـوم الأخـذ بالمناقشات المقنعة التي دارت بين النواب، وجاء الرفض من أربعة أسطر.. عندما أشار رئيس المجلس إلى قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٨٩. والذي يوفر حرية التعبير عن الرأى في البرلمان. وأنا أؤيد تماما حرية الرأي. ولكني أعتقد أنه لـم يحدث أن أحدا من المواطنين تعرض لمثل هـذا الوصـف خلال القرن الحالي. وإذا كان لدى رئيس الوزراء أي شـيء يماثل الاستشارة القانونية السليمة لأدرك أن تهمة الابتـزاز ليست واردة وبالرغم من هذا فقد أجاب عن أحد الأسئلة التي

وجهت إليه بتهور واندفاع تسبب في الإضرار بمصالحي إلى أقصى مدى".

إنني أعتقد، وبصورة لا أحيد عنها، أن مستر ميجور رجل عادي، شريف. ولهذا فإنني أدعوه إلى أن يضـع الآن خطًا واضحا لهذه المسألة عن طريق التصحيح بالنتائج التي أمكن التوصل إليها وبمنتهى الوضوح.. ثم وضع هذه النتائج في صندوق البريد"

" وفي الوقت نفسه فإنني أعتقد أن اعتذارا من جانبه سيكون أيضا أمرا طيبا... أما إذا رفض هذا الاعتذار.. فقـد يؤمن البعض بأنه ليس عادلاً وليس شريفًا.. وقد يجـاهرون بهذا الرأي بلا حماية من جانب المزايا البرلمانية "

صديقكم المخلص: محمد الفايد.. رئيس مجلس إدارة هارودز انتهي الخطاب..

وهي نهاية وضعت حدا للمعركة.. جولة واحدة فقط منها. جولة كسبها محمد الفايد حتى النهاية. كسبها وطالـب جون ميجور بالركوع أمامه.. وبالاعتذار.. ورغم أن جـون ميجور لم يفعل هذا إلا أنه قد قام به معنويا.. حـين التـزم الصمت.. بعد أن خسر وزيرين.. ونسي النـاس انتصـاره

السياسي في أيرلندا الشمالية.. واهتز الحزب.. ومنح العمال وتوني بلير.. الذي كان معارضا في ذلـك الوقـت فرصـة للهجوم..

ونهاية من هذا النوع من المؤكد أنها أضافت عـدوا جديدا لمحمد الفايد.. وجعلت هناك ما يشبه الاتفاق الضـمني على كراهيته داخل المؤسسة البريطانية.. ومن هنا كان لابد أن توضع في طريقة خوازيق جديدة.. خوازيق تعطل عملية التجميل التي يريد أن يجريها. لتبقى الندبة في وجهـه فتـرة أطول..

وعملية التجميل الجديدة كانت توحي بأن محمد الفايد يتخذ اتجاها تصاعديا في إجراءاته لمحو آثار التقرير.. إنـه في البداية اتجه إلى العلاقات العامة، ثم في خطوة تالية عين صحفيا هاما ليتحدث باسمه، وفي نفس الوقت قـام بأعمـال خيرية عديدة، ثم في مرحلة أخرى اتجه إلى الضغط علـى الحكومة.. لكنه في هذه المرة قرر أن تكون جراحة التجميل من نوع أكثر تأثيرا.. قرر أن يدخل الأسـلحة مـن جانـب آخر.. هو جانب الإعلام والصحافة.

وحين دخل من هذا الجانب كانت وسيلته أيضا هـي المال.. المال الذي استخدمه في الأعمال الخيرية، واستخدمه في رشوة نواب مجلس العموم، والذي سوف يستخدمه فيمـا بعد في إبهار ديانا.. الأميرة المقتولة.. إنه أيضا الوسيلة التي قرر أن يسيطر بها على حصة في الإعلام البريطاني.

لقد كان هدفه هو أن يوظف هذه الحصة في سـبيل خدمة أهداف معاركه العديدة.. من ضرب المنافسين وطعـن الحكومة إلى الحصول على الجنسية وإلغاء التقرير.. أو على الأقل توظيف هذه الورقة.. ورقة الإعلام والصحافة.. فـي اتجاه إحداث توازن مع أوراق اللعب التي تملكها الأطـراف الأخرى.

وكانت الخطوة الأولى في أغسطس ١٩٩٤.

وكان هدف الخطوة الأولى هـو شـراء "صـحيفة توداي" التي يملكها الملياردير اليهودي روبرت مـاردوخ.. وجرت المفاوضات بالفعل.. وجهز محمد الفايد قلمه الفخـيم في النهاية ليوقع على أوراق الاتفاق.. لكن روبرت ما ردوخ تراجع تماما قبل ساعات مـن إتمـام التوقيـع.. وطـارت الصفقة.. وطارت معها آمال الفايد في الوصول إلى هدفه.

لكنه لم ييأس..

وفي أكتوبر ١٩٩٥ كرر الفايد المحاولة..

وكان هدف المحاولة هو شراء إذاعة معروفة في لندن اسمها " ال. بي. سي".وهي إذاعة مملوكة لوكالة "رويتر" من خلال شركة "لندن نيوز راديو" .. وجرت المفاوضات طوال ثلاثة أسابيع.. ووافق الفايد سرا على أن يدفع ٤ ملايين جنيه استرليني مقابل شراء هذه الإذاعة.. في نفس الوقت الذي كان قد قرر فيه إحياء الإذاعة بشكل كامل.. وقرر أن يعين الصحفي المرموق أندرونيل رئيس تحرير "صنداي تايمز" السابق رئيسا لمجلس إدارة الإذاعة.. وأن يدعو إعلاميين معروفين لتقديم برامج الإذاعة والإسهام فيها.

إن أندرونيل نفسه قد تدخل كي يدافع عن محمد الفايد. فوصف خطته لإصلاح الإذاعة بأنها كانت تشبه خطته مع محلات هارودز أي أنه يشتري مؤسسة في طريقها للاضمحلال ويحولها إلى أحسن محطة في بريطانيا.

وعلى الرغم من أن رويتر كانت تبحث منذ فترة طويلة عن مشتر "للندن راديو" .. أو للدقة كانت تفتش..

لأنها لم تجد مشتريا بسرعة.. إلا أن المحادثات التي سـبقت الصفقة أوقفت فجأة.. ورفضت رويتر أن توضح السبب. بل لم تعط أي تعليق.. ومرة أخرى أغمد محمد الفايد قلمه الفخيم في جيبه المملوء بدفاتر الشيكات قبل أن يوقع على الصـفقة بساعات.

إنها جولة جديدة في معركة عض الأصابع.

وفي هذه المرة كانت أصابعه هـو تحـت ضـرس الحكومة.

ذلك أنه هو نفسه قال هذا، وتحدث عن شكوكه فـي أن حزب المحافظين هو الذي يقف وراء إحباط الصفقة لمنعه من السيطرة على أى منبر إعلامي في بريطانيا. وقـال: إن حزب المحافظين يخشى أن أستخدم المحطة كمنبر في فضح الفساد داخل الحزب.. إن الحزب الحاكم يملك القدرة علـى القيام بأي شيء من وراء الستار.. وواضح أنهـم يريـدون منعي من امتلاك أي منبر إعلامي لكنني كنت أنوي أن تكون المحطة صوتًا مستقلاً يتولى إدارتها صحفيون ذوو مسـتوى مهني رفيع دون أن أمارس أي تأثير عليهم.

هل كان السر وراء ذلك هو حقًا الخـوف مـن أن يستغل الفايد الإذاعة في معركة حصوله على الجنسية، أم أن السبب الحقيقي هو أن أحـدا مـن نـوع خـاص لا يريـد للإمبراطورية أن تحصل على جناح جديد.. جناح أشد قـوة وأكبر تأثيرا هو جناح الإعلام؟

يبدو أن السببين معا، كانا يقفان وراء ما حدث.

ومن هنا فإن محمد الفايد جعل اسـتراتيجيته التاليـة هي أن ينطلق في الاتجاهين في وقت واحد.

هكذا راح يناضل قضائيا من أجل الحصـول علـى الجنسية.. وراح أيضا يناضـل مـن أجـل الإمبراطوريـة الإعلامية.

كان رفض رويتر إتمام صفقة المحطة الإذاعية.. قد حدث في نوفمبر ١٩٩٥ وفي خلال ثلاثة أشـهر.. أي فـي نوفمبر ١٩٩٦ كان محمد الفايد قد حقق انتصارا ضعيفًا حين نجح في شراء مجلة كرتون ضاحكة اسمها "بـنش".. وهـي للطرافة مجلة عريقة صدرت قبل أكثر من قـرن ونصـف قرن.. ثم توقفت في عام ١٩٩٢.. وجاء الفايد ليدفع نصـف مليون جنيه استرليني لكي تصدر من جديد.

وخرج آخر رئيس تحرير للمجلة ليرحب بالصـفقة ويقول: "هذه خطوة جيدة.. فقد توقفنا قبل ثلاث سنوات لأنـه صدرت عدة مجلات مضحكة ليست مجبرة على أن تكـون محترمة"

لكن هذا النجاح الضعيف لم يـنس الفايـد صـفقاته الإعلامية التي فشلت من قبل.. وراح ينتقم بطريقة قانونيـة من روبرت ماردوخ الملياردير اليهودي الذي كـان يملـك صحيفة "توداي" ورفض أن يبيع الصحيفة للفايـد مقابـل ٤ ملايين جنيه استرليني.. في نفس الوقت الذي وافق علـى أن يدفع ٤٢ مليون جنيه استرليني كتعويضـات للعـاملين فـي الجريدة.. ثم راح يصدر بيانًا يقول فيه أنه لم يتم الصفقة لأنه لم يجد مشتريا جديا.. فالتقط الفايد الخـيط ورفـع دعـوى قضائية يطلب فيها تعويضا من روبرت ماردوخ.

وفي المحاكم أيضا كان الفايد يمضي فـي طريـق معركة الجنسية. كانت القضية قد وقفت عنـد حـد رفـض وزارة الداخلية أن تمنحه الجنسية.. لكنه راح فيما بعد يطلب ـ عن طرق جيش من المحامين من المحكمـة البريطانيـة العليا ـ الإذن بأن يقاضي وزير الداخلية.. لأنه لم يعطه هو

وأخاه الجنسية.. وقالا في عريضة الدعوى: "إن هذا القـرار ينتهك "الحق الطبيعي لنا" ووافق بوب لويل قاضي المحكمـة على إعطائهما الإذن.. لأن "الادعـاء يثيـر قضـية قابلـة للجدل".. ولها أهمية على الصعيد الدستوري"

لكن القاضي ولسبب غامض، رفض في نفس الوقت أن تُجرى هذه القضية في وقت عاجل.

لكن هذا الأمر لا يمنعنا وقبل أن ندخل في المرحلـة التالية من هذه المعركة، أن نقرأ ما قاله المحامي الفايد مايكل بيلون في أوراق الدعوى، كي يحصل على هذا الحكم.

لقد قال: "إن انتهاك حقهما الطبيعي كان مفضـوحا. لأن وزير الداخلية لم يقدم أي تعليل للرفض.. ومن الصعب أن نرى ظلما أكبر من اتخاذ قرار بهذا المقدار من الحساسية في شكل يترك المتضرر منه وهو يجهل تمامـا مصـيره، ويحرمه من فرصة تلافي ذلك المصير"

وقال: "لقد ألقى هذا الرفض ـ غير المبرر ـ بظلال من الشك على سمعة محمد وعلى الفايد.. خاصة أن هنـاك رأيا يرى أن الطلب رفض لأسباب سياسـية، و هـو أمـر

مرفوض قانونًا. ولا يمكن تلافي القضية عن طريق حـائط الصد الذي أقامته الحكومة"

وفي ٢٧ فبراير ١٩٩٦، ورغم أن الخطوة الأولـى كانت توحي بعكس ذلك، خسر محمد الفايد جولة جديدة فـي المعركة.. والخسارة هذه المرة جاءت مثل انتصـار المـرة الماضية.. عبارة عن حكم قضائي.. صادر عـن المحكمـة العليا البريطانية.. وقال القاضي أنه يوافق على قرار وزيـر الداخلية: " على الرغم من أنه لا يتصـف بالعدالـة.. إلا أن الوزير لم يكن ملزما بإعطاء سبب لقـرار الـرفض الـذي اتخذه..." و"الآن القرار في يد وزير الداخلية الذي يمكـن أن يعيد النظر فيما إذا كان ينبغي أن يعطي الأخوين الفايد تلميحا ما عن سبب الرفض". ولكن الوزير لم يفعل بالطبع.

ووجد الفايد رغم الخسارة في ذلك الحكم فرصة كي يقول: "لقد حصلت على انتصار معنوي" .. ثم راح يعيد على أسماع البريطانيين إنجازاته كي يبرر لهم حقه في الحصـول على الجنسية.. وقال: "إنني أوظف ستة آلاف عامل، ولـدى أنا وأخي سبعة أطفال بريطانيين، وقـد دفعـت فـي العـام الماضي ٣ ملايين جنيه استرليني كضـرائب دخـل، و٢٢

مليون جنيه استرليني قيمة ضرائب دفعتها شركاتي الخاصة".. ثم مضى بعد ذلك يحول قضيته إلى قضية من النوع العام.. راح يبحث عن تعاطف من المواطنين العاديين: "سوف أواصل جهودي بلا كلل، حتى أكشف الحقيقة كما فعلت في قضايا حكومية أخرى"

إنها نفس الخطة التي مضى ينفذها فيما بعد ذلك بعدة أشهر، حين حقق هذه المرة انتصارا بعد أن حكمت محكمة الاستئناف لصالحه فقال: "إنني مصمم على النضال حتى النهاية في هذه المعركة.. إنني أفخر بمصريتي.. ولكني لأسباب تجارية وعائلية أريد الحصول عليها معاملة تتنافى مع قواعد القانون في بريطانيا"

والذي حدث في هذه المرة أن القاضي اللورد وولف رئيس محكمة الاستئناف أمر بأن يسود القانون في التعامل مع محمد الفايد وأخيه.. وقال: "إن الشقيقين لم يلقيا معاملة عادلة لأنهما لم يحصلا على أسباب الرفض"

ونزل الحكم كالصاعقة في وزارة الداخلية.. فاضطر متحدث رسمي باسمها لأن يعلن أنها سوف تعرض القضية برمتها أمام الجهة القضائية الأعلى.. أي مجلس اللوردات.

لكن محمد الفايد راح يستثمر هذا النجاح في حملـة دعائية كبرى.. وقبل أن يصدر بيانًا يحقق في هذا الاستثمار قال: "إنني مصمم على النضال.. وسأواصل معركتي بـدعم من أبناء الشعب البريطاني العاديين، الـذين أعربـوا عـن تأييدهم لي من خلال مئات الرسائل التي تلقيتها، وتعبر عـن الاستياء من المعاملة التي لقيتها أنا وأخي".

ولكن ماذا قال بيان الفايد هذه المرة؟

"إن العدالة البريطانية انتصرت لي ولأخي عِلي بعد طول معاناة"

" لقد عشت في بريطانيا تحت مظلة القانون ما يقرب من ٣٠ عاما، لم أرتكب خلالها أي شيء، حتى مخالفة إيقاف السيارة في المحل الممنوع... لم أفعلها.. وقبـل أن أشـتري متاجر هارودز عملت بجدٍ لإحضار تعاقدات تساوي مليارات الجنيهات للشركات البريطانية.. وإنني آمل أن يسـمح لنـا وزير الداخلية بحمل الجنسية البريطانيـة بـدون إجـراءات أخرى"

" إنني لا أعارض أن تلجأ وزارة الداخلية إلى مجلس اللوردات، ولكن قرار محكمة الاستئناف يكفي ويحقق العدالة بأسمي معانيها"

وفي نفس الوقت الذي كان فيه محمد الفايد يحـاول تهدئة الأمور.. كان أيضا في بيانة يوحي بتهديد.. ويعلن أنه قد يؤلب على وزارة الداخلية عشرات من القضايا الأخرى.. إذ قال: "إن قرار محكمة الاستئناف يعتبر تاريخيا، لصـالح كثير من الناس الذين دخلوا في دهاليز الصمت حين رفضت إدارة الهجرة منحهم الجنسية البريطانية، ولـم تتـوافر لهـم إماكنية الاستئناف أمام المحاكم"

إنه مرة جديدة يضع أصابع الحكومة تحت ضرسه.

وفي نفس الوقت الذي كان يخوض فيه هذا الصراع، كان الفايد مصرا على أن ينفذ عملية التجميل الأهم من خلال بناء الإمبراطورية الإعلامية الكبرى.. الموازية لإمبراطورية هارودز. ولكن محاولاته لا تتوقف.. ومـا أن يخـرج مـن صفقة فاشلة حتى يحاول أن يجعل نتيجة الصفقة التالية عكس ذلك.

لقد كان سلاحه هذه المرة عبارة عن شركة اسـمها "ليبرتي بيليشنج".. أي مؤسسة الحرية للنشر.. وقـد أسـس هذه الشركة في نوفمبر ١٩٩٥.. وخسرت كما قلنـا صـفقة راديو لندن، ومن قبلها صفقة جريدة "توداي" ومـن قبلهمـا صفقة جريدة "ديلي إكسبريس".. إلا أنها في مـارس ١٩٩٦ حاولت أن تحقق لصاحبها.. أي محمد الفايد.. نصـرا مـن نوع خاص.. نصرا على غريمه السابق تيني رولاند.

كان الهدف هذه المـرة هـو جريـدة "الأوبزرفـر" المعروفة، إنها نفس الجريدة التي تجرأت من قبل، ونشـرت ملخصا لتقرير وزارة التجارة والصناعة عن محمد الفايـد.. وهي في نفس الوقت كانت مملوكة لتيني رولاند.. ثم باعهـا لشركة "جارديان ميديا جروب" التي تصدر صحيفة جارديان المشهورة.. منذ ثلاث سنوات.. ولكن هذا الشراء لم يوقـف خسائر الأوبزرفر.

ومن هنا دخل محمد الفايد في لحظة خاصـة علـى الخط.. أراد أن يحقق انتقاما فريدا من غريمـه السـابق.. وعرض شراء الجريدة بـ ١٥ مليون جنيه استرليني.. ثم ما لبث أن رفع العرض إلى ٢٠ مليون جنيه استرليني.. لكـن

الكواليس الخلفية التي تلقت الخبر راحت تلعـب.. ورفـض الملاك بيع الجريدة المرموقة.. وخرجـت كـاميلا نيكـولاز الناطقة باسم شركة "جارديان ميـديا جـروب" لتقـول: "إن أوبزرفر ليست للبيع.. سواء لمحمد الفايد أو لغيره"

وعض أحدهم على أصابع البطل المغامر العنيد..

وبدا في خلال شهرين فقط أنه مصر تماما علـى أن يكون الإمبراطورية الإعلامية.. وسمح له في مـايو ١٩٩٦ أن يحقق نصرا ضعيفًا.. حين تم الإعلان عن أنه اشترى من شركة "جولدن روز كوميو نياكشينز" – أي الوردة الذهبيـة للاتصالات راديو "فيفا".. من خلال شركته "ليبرتي ببليشينج" وكان الثمن هو ٣ ملايين جنيه استرليني.

ودعم ريتشارد ويلتي المدير التنفيذي للشركة البائعة موقف الفايد قائلاً: "هؤلاء الناس يسعون لتطـوير مصـالح إعلامية"

وهذا الراديو الذي اشتراه الفايد.. لم يكن عريقًا. بل ربما كان هو الذي أسسه من الباطن.. إذ لـم يكـن عمـر المحطة يزيد على عام.. وحصلت الشـركة البائعـة علـى ترخيص به في يوليو ١٩٩٥.. وظلت طوال عام تقدم مزيجا

من الأحاديث الموجهة للمرأة، وأخبارا وبرامج عن الشـئون الجارية والموسيقى المعاصرة.. ثم قيل أن المحطـة تواجـه مشاكل.. إذ لم تحصل على إعلانات.. ولم يستمع لها أكثـر من مائة ألف فرد، لضعف الموجة التي تبث عليها..

ولكن الفايد اشترى..

إنها خطوة في الطريق.. مشرط يمكن أن يستخدم في العملية الجراحية للتجميل.. ولكـن.. هـل سـعى العنيـد.. المصري.. إلى ما هو أبعد من الإمبراطورية الإعلامية؟ هل أراد تخطي هذه المساحة التي كان يلعب فيها بماله لتحقيـق أغراضه؟.. هل قرر أن يتوقف عـن تحريـك السياسـيين كعرائس الماريونت من خلف الستار بفلوسه، وقرر أن يظهر على المسرح بنفسه؟

ربما..

ذلك أن الصحف البريطانية تحدثت في عـام ١٩٩٦ عن أنه في طريقة لخطوة جديدة..

ففي غضون أيام من إتمام صفقة راديو "فيفا" كانـت صحيفة "اندبندنت" تتحدث عن أن محمد الفايد ينوي إنشـاء حزب سياسي تحت اسم "حزب الإصلاح".. وأنـه خصـص

لهذا الغرض ٢٣ مليون جنيه استرليني لدعم مرشحي الحزب في الانتخابات العامة التي جرت.. وفاز بها فيما بعد حـزب العمال بقيادة توني بلير.. وقالت الصحيفة أن الحزب يطالب بلائحة حقوق.. وبحرية المعلومـات.. واسـتبدال مجلـس اللوردات بهيئة منتخبة .. وتقليص الإنفـاق علـى العائلـة المالكة.. وإجراء استفتاء على الحكم الذاتي لاسكتلندا ويلـز وإعادة الخدمات للقطاع العام.

الناطق باسم محمد الفايد خرج إلى السـاحة فـورا لينفي الخبر.. ولكنه نفي كان أقرب للتأكيد.. نفـي أكـد أن محمد الفايد كان يفكر بالفعل.. إذ أنه من جانـب قـال: "أن الصحيفة كتبت تقريرها بدون الرجـوع إلـى الفايـد أو أي شخص يعمل لديه.. وربما استند التقرير إلى مذكرة داخليـة في "مؤسسة الفايد" ومن جانب آخر اعتـرف بوجـود هـذه المذكرة.. وقال: "إن هذه المذكرة تضمنت بعض الإصلاحات التي يمكن أن تترك تأثيرا مفيدا في الطريقة التي يدار بهـا البلد سياسيا"

وبدا وكأن الناطق باسم الفايد يشير من بعيد لجـون ميجور وحزبه بعصا، يمكن أن تستخدم في وقت كـان فيـه

حزب المحافظين يعاني تماما من منافسة حادة مـن حـزب العمال.. إذ قال: "نحن على استعداد لدعم الحركة من أجـل الإصلاح الدستوري، ونأمل في إنشاء صندوق قريبـا لهـذا الغرض". ثم مضى يؤكد نفس الاتجاه: "لقـد تحـدث الفايـد خلال الأشهر الماضية إلى عدد كبير من الأشخاص، بيـنهم سياسيون كبار وأكاديميون وصحفيون ورؤساء تحرير عـن الحاجة إلى إصلاح دستوري، ونتيجة لذلك ساهم عـدد مـن الأشخاص في تقديم أفكارهم خطيا حول هـذا الموضـوع، ويبدو أن هذه المذكرة التي استند إليها تقرير إبندبندنت واحدة من هذه الإسهامات.. لكنها بالضرورة لا تمثل تفكير الفايد"

ثم استغل الناطق باسم محمد الفايـد هـذا الموقـف لصالح من يعمل عنده.. وقال: "على الـرغم مـن أن الآراء السياسية للفايد تأثرت بتجاربه الشخصـية خـلال السـنوات العشر الماضية فإن بعض الإصلاحات التي تطرقـت إليهـا المذكرة تنبع من إيمان راسخ بالحريـة السياسـية واحتـرام حقوق الفرد".

لقد كانت عجلة كل عمليات التجميل التـي ينفـذها محمد الفايد تجري بسرعة.. ولكنها كانت تفشل مرة.. وتنجح

مرة. وكان نجاحها ضعيفًا.. لم يسفر عن إزالة آثار الندبـة التي حفرها تقرير وزارة الصناعة والتجارة في وجهه .

وكان لابد أن يبحث عن حل ناجح.

حل نهائي.

كان لابد أن يسحب أصـابعه مـن تحـت ضـرس الحكومة.

بل وبدا في سعيه لهذا الحل وكأنه يريـد أن يضـع كافة أصابع الدولة تحت ضرسه هو.

وكانت عملية التجميل الكبرى.. الهـدف العظـيم.. الأميرة ديانا.. العملية التي كان يمكن أن تضع القصر الملكي كله في جيب سرواله الصغير.. العملية التي تابعهـا العـالم كله.

٧

الابن الضائع

- أرجوك... قولي نعم!

" هذا الرجل الذي تحتضنه الأميرة، وتدفن رأسها في صـدره، وتلـف ساقيها حوله.. عربـي.. مصـري الأب.. سعود الأم".

ما الذي يمكن أن يكون عماد الفايد قـد قالـه مـن عبارات حب للأميرة العنيدة، الوردة، المحبوبـة، العاشـقة، المفضوحة، الشهيرة جدا... الليدي ديانا سبنسر؟ هـل كـان مثلاً يستخدم مفردات من القاموس الشعبي المصري حـول "البيض الحيارى والسمر العذارى"؟ أم أنه كان يوظف فـي علاقته تلك - التي فاجأ بها بريطانيـا - عبـارات عشـق عصرية؟ أم أنه دلف إلى قلب الأميرة مـن خـلال مفـاتيح حصل عليها عبر حياته الطويلة في المجتمع البارد، المجتمع الإنجليزي، الذي أنهك وأتعب وأرهق قلب ديانا طـوال ٣٦ عاما، هي كل عمرها، وخاصة في السنوات السـت عشـرة الأخيرة التي عاشتها في قصور العائلة المالكة البريطانية؟

إن أحدا من الصحفيين الذين طاردوا الـبلاي بـوى المصري والأميرة المميزة خلال الشهرين الأخيـرين مـن حياتهما قبل أن يقتلا في حادث غامض جدا، أنهـى قصـة الحب الوليدة، لم يعثر على نص حواري دار بين الاثنـين، ولم يهتم أحد من هؤلاء الصحفيين سوى بالتقاط الصور فـي الحادث.. وكان على الصور أن تقـول لقـارئ الصـحف البريطانية - الشعبية والرصينة - ومن بعدها كافة صـحف

العالم، كل شيء عما يحدث بين ابن محمد الفايد.. والأميـرة أم الملك القادم في بريطانيا.

والواقع أن الصور كانت تقول الكثير، لكنني أظن أن عماد الفايد.. ذلك الدنجوان الذي لم نكن نسمع عنه من قبـل في مصر أي شيء – وضع كل ما في داخله من تركيبـات اجتماعية مختلفة وثقافات متعددة أمام قلب الأميرة... فجعلـه هذا نموذجا مميزا وبارعا ومختلفًا.. يختلف تماما عـن كـل النماذج التي عرفتها من قبل.. بداية من الأمير البارد ولـي عهد بريطانيا.. الأمير تشارلز.. ومرورا بمدرب الفروسـية الخائن جيمس هوايت الذي أحبته الأميرة ثم باع قصة هـذا الحب في كتاب حين كشفت الحكايـة.. ونهايـة بالرياضـي المرموق في باكستان عمران خان.

لقد بدا عماد الفايد من نوع آخر لم يصادف الأميرة.. جان.. جذاب.. حلو الحديث.. ورائع المـذاق.. بـه سـحر مصر.. وشعبية الأنفوشي.. وبدوية السعودية التي تنتمي لها أمه.. وقوة الأب.. وعصـرية الغـرب.. وعشـق الفـن.. والرغبة الحادة في المغامرة.. وفوق كل هـذا نفـوذ المـال والشهرة اللذان يتمتع بهما بالوراثة..

إنه إذن أمام الأميرة فارس مختلـفٌ بكـل معنـى الكلمة.. يعرف كيف يضع يده على أوتار قلبهـا.. ويعـزف لحن الحب الساخن الممزوج بسحر من نوع خاص افتقدتـه كثيرا.. ويعبر عن هذا بكل حنان وهو يطبع قبلة على جسـم الأميرة في لحظات سعيدة على متن يخت الأب المليـاردير الكبير محمد الفايد.. هذه القُبلة التي كان ينتظرها أحد قناصة الصور الذين تعرفهم الصحافة باسم "باباراتزي".. فالتقطها.. وباعها بنحو نصف مليون دولار لعدد من صحف بريطانيـا وفرنسا.. فخرجت الصحف وهـي تجـذب أنظـار قرائهـا بمانشيت ساخن وملتهب هو "القُبلة" أو "The Kiss ".

هذه "القبلة" التي بدا في النهاية أن عماد دفع ثمنهـا غاليا، حين راح ضحية حادث نفق باريس. " قبلة " لم تكـن هي أول ولا آخر " قبلة " في حياة عماد الفايد.. ولم تكن هي أول ولا آخر " قبلة " في حياة الليدي ديانا سبنسر.. ولكنهـا كانت " قبلة " بها كل مميزات طبيعـة الشخصـين اللـذين تبادلاها.. " قبلة " هزت الـرأي العـام.. وهـزت العـرش البريطاني.. ولفتت أنظار العالم كله.. " قبلة " جمعـت بـين الشرق والغرب.. " قبلة " مزجت بين الإسـلام والمسـيحية

عبر ديان جسدي صاحبيها.. " قبلة " رفضـها الكثيـرون.. ورأت فيها أجهزة المخابرات البريطانية مؤشرا هاما وخطيرا يجب أن يتم وأدها، وألا تتكرر، وألا تترك تداعياتها تمضي في طريقها..

إنها " القبلة " القاتلة.

" القبلة التي بدلاً من أن تورث في القلبين والجسدين والروحين نشوة خاصـة.. أورثتهمـا العـداء والكراهيـة والغضب الشديد الذي أفضى إلى نهاية مأساوية لحياة الأميرة العنيدة، والمختلفة، ونهاية أشد مأساوية في أحد فصول تاريخ عائلة محمد الفايد.

" القبلة " التي لطمت مؤسسة الأسرة بقوة، بعد كـل هذه الانتصارات التي حققتها، وبعد أن كان الأب محمد الفايد يطمع في أن تتحول – أي هذه القبلة – إلى انتصار آخـر.. حاسم وقوي.. في صراعه مع هـذا المجتمـع البريطـاني القاسي.

فلقد كان عماد أمل أبيه.. حلمه الأكبر في التواصل.. أمنيته الأعظم في أن يكمل المسيرة.. في أن يبنـي طوابـق أخرى فوق برج الإمبراطورية التي أثارت- ولـم تـزل –

الجدل .. ليس في بريطانيا وحدها.. وإنما في كـل أنحـاء العالم.

هل كان هذا الحلم موجودا داخل قلب محمـد الفايـد حين ولد عماد الفايد في منتصف الخمسينيات؟.. ربما.. لكن المؤكد أن محمد الفايد كان في ذلك الوقت مغامرا مصريا بلا إمبراطورية.. حين تزوج سميرة خاشقجي في عـام ١٩٥٤ وأنجب منها عماد، ثم طلقها في عام ١٩٥٦.

وحتى هذه اللحظة لم تُكشف تفاصيل عـن الاتفـاق الذي تم بموجبه الطلاق من هذا الزواج القصير.. لكن المؤكد أن سميرة كانت لها حياة من نوع خاص.. حياة ترف.. حياة مرتبطة بمزاجها المتقلب.. ومن هنا فإن الطفل الرضيع لـم يبق معها فترة طويلة.. وانتقل عماد.. أو "دودي" كما كـان يحب أن يطلق عليه تدليلاً.. إلى حضانة أبيه.. وبدلاً من أن ينتقل من دولة إلى أخرى مع أمه التي لا تهدأ من الترحـال بين حين وآخر من دولة إلى غيرها.. نشأ في الإسـكندرية.. حيث تلقى تعلميه الأول في كلية سان مارك، هذه المدرسـة المعروفة التي كان يرعاها الفاتيكان، ويلتحق بها أبناء كبـار أغنياء المدينة الجميلة، الذين لم يتمكنوا من اللحـاق بركـب

التعليم الفاخر في كلية فيكتوريا، مدرسـة الأمـراء وأبنـاء العظام.

ولم يعان عماد في طفولته من أية متاعب يمكـن أن يعاني منها طفل مصري في تلك الفترة.. إذ كانت الأسرة قد بدأت فعليا في الانتقال إلى مرحلة الثراء.. وهكذا كان هـو الطفل الوحيد في كلية سان مارك الذي يمتلك سيارة.. وكان أيضا الوحيد – تقريبا – الذي يعيش في قصر.

هذا القصر، الذي تتسع مساحته إلى قرابة ٣٥ ألـف متر، ويقع في منطقة فيكتوريا، كان يملكه ثري يوناني اسمه " البورتا".. غادر مصر حين بدأت الثورة تطبيـق سياسـة التأميمات.. فاشترته عائلة الفايد.. واستغلت الفرصة.. وظلت تملكه حتى اليوم.

إننا يمكن أن نتخيل ما هي النفس الصـغيرة التـي يمكن أن تنشأ في مكان مثل هذا.. حديقة هـي قطعـة مـن الجمال.. بها عراقة مميزة.. وحمام سباحة عظيم..ونـافورة من رخام نادر.. وتمثالان من النحـاس بـالحجم الطبيعـي للفرعون رمسيس الثاني.. ومجموعة أخرى من تماثيل رمز الحب والجمال الإغريقي فينوس..

هذا المكان الذي هجرته العائلـة، وفضـلت عليـه مجموعة من الفيللات في منطقة الفردوس بالعجمي، والـذي يتابعه فقط مدير أعمال الأسرة من حـين لآخـر، ويـزوره صلاح شقيق محمد الفايد مرة أو مرتين كل عام، هذا المكان يمكن أن يخلق طفلاً أميرا.. ولكنه من عجبٍ – ورغم كـل مظاهر الثراء الفاحش الذي تتمتع به عائلته – كان ذا طبيعة مميزة.. تجعله يصادق ابن الجنايني الـذي يرعـى حديقـة القصر.

هذا الصديق سبق عماد إلى الموت بسبع سـنوات.. كان اسمه سعيد الصناديلي.. وكان يخرج مع عماد وأصدقائه من أبناء الأغنياء إلى حفلات الأفلام في سينما مترو وسينما أمير.. ثم يعود معه إلى القصر حيث يمارس عمـاد عشـقه للسينما ويعيد أمام أصحابه تمثيل هذا الفيلم الذي تابعوه منـذ لحظات.

وقد لاحظ محمد الفايد هذا الحب المتبادل بين ابنـه عماد وصديقه سعيد.. ودعم هذه العلاقة.. حتى أنـه كـان يشتري للاثنين في بعض الأحيان زوجـين متمـاثلين مـن الأحذية.. وهذا الحب المتبادل هو الذي دفع سعيد فيما بعد –

وحين تزوج وأنجب- لأن يطلق اسم عماد صديقه على ابنه الأول.. هذا الحب هو الذي كان يجعـل عمـاد يصـطحب صديقه – إذا ما جاء في رحلة إلى مصر- في نزهة بالسيارة من فيكتوريا إلى سان مارك مستعيدا ذكريات الطفولة.. وهذا الحب هو الذي دفع سعيد إلى أن يسافر إلى بريطانيا حيـث عمل هناك، وحيث ساعده عماد إلى أن قرر سعيد العودة إلى مصر حيث مات.

إن عماد ابن العائلة التي عاشت في البداية في حـي الأنفوشي، لم ينس جذوره.. ولكن نسيان هذه الجذور أو عدم نسيانها لم تكن له علاقة على الإطلاق بالتحول الذي حـدث في حياة أبيه.. وبالتالي حدث في حياته حين انتقل الأب إلى بريطانيا.. وانتقل معه عماد.. حيث درس فـي الأكاديميـة العسكرية البريطانية – كلية هيرست – وهي المعهد المتميز الذي يحرص الأثرياء على إلحاق أبنائهم به.

ولقد عمل لبعض الوقت في سفارة دولة الإمارات في لندن، إلا أنه سرعان ما ترك هذا العمـل، وأسـس شـركة للإنتاج الفني أنتجت الفيلم الحائز على جـائزة الأوسـكار "عربات النار".. وقد أنفق على هذا الفيلم ثلاثة ملايين دولار.

لكن عماد الفايد ظل شابا وسيما وجذابا لـه بعـض القصص، وعديد من الحكايات في أوساط من نوع خـاص، ولم يصعد إلى الأحداث أبدا إلا حين عرف الجميع قصته مع ديانا.. حتى حين كان أبوه غارقًا في معاركه العديـدة مـع الحكومة ومنافسيه في بريطانيا.. لم يسمع له صوت.

ثم صار نجم العالم، الذي يقلب الجميع في كل أوراق ملفه، حين تعرف على الأميرة القتيلة.

إن الأميرة لم تكن غريبة عن أسرة الفايد.. بل ربما تكون قد قابلت عماد من قبل أكثر من مرة.. خاصة أن محمد الفايد كانت له قنوات مختلفة مع القصر الملكي.. ليس فقـط باعتبار أنه مورد الخضروات والفواكه للقصر.. ولكن لأن له علاقة صداقة مع الأمير تشارلز والملكة إليزابيث الثانية.. بل إنه فيما بعد كان أحد ممولي الأعمال الخيرية للأميرة ديانا.

وفوق كل هذا كان والد ديانا نفسه صـديقًا لمحمـد الفايد، على حد قول المتحدث باسم ديانا: "إنها صداقة قديمة، وكان والد ديانا صديقًا حميما لمحمد الفايـد" وبـدوره قـال المتحدث باسم محمد الفايد عقب إعلان هذا التعـارف: " إن الضجة المثارة الآن لا معنى لها، لأن الأميرة تعرف الفايـد

منذ سنوات طويلة، وهو يرأس اثنتين من المؤسسات الخيرية التي ترعاها"

ومن المؤكد أن الأميرة لم تحسب أن بداية التعـارف سوف تثير كل هذه الأقاويل، التي راحت الصحف تروجها، بعد التقاط صور الأجازة التي قضتها في الريفيرا مع محمـد الفايد وابنه.. لاسيما أنها قبل أن تخرج إلـى هـذه الرحلـة أعطت خبرا عنها لمطلقها الأميـر تشـارلز وأمـه الملكـة إليزابيث.

ويبدو أنها كانت فعلاً في حاجة لهذه الأجازة.. ويبدو أنها كانت تفكر فيما هو أبعد.. ويبدو أنها كانت تهرب مـن بريطانيا.. ويبدو أن تلك الأجازة التي أمضتها كانت نوعـا من الفرار من ضغوط معينة.. ضغوط صعبة.. إذ قالت في غضون هذا للصحف وهي تبرر اصطحاب ولديها معها ـ وأحدهما سوف يصبح ملكًا ـ في هـذه الرحلـة: " ولـداي يحثانني باستمرار على ترك بريطانيا، ويقولان إنـه الحـل الوحيد.. وربما على أن أفعل ذلك، إنهما يريدان أن أعـيش في الخارج.. لأنني عندما أعيش في لندن أتعـرض لـلأذى

باستمرار.. وترصد كل تحركـاتي.. والآن أُجبـر علـى الرحيل".

لقد كان يمكن أن يفهم هذا التصريح في إطار عادي. ولكنه أعلن في نفس الوقت الذي كانت فيه صور الأميرة مع عماد تذاع في كل لحظة.. وخاصة أنها هـي التـي ألهبـت الحماس والخيال، وحركت الأذهان إلى اتجاهات بعيدة حـين قالت: "سوف أدلي ببيان خلال أسبوعين سيضع حـدا لكـل هذا... ستكون مفاجأة "

إنها إحدى عشرة كلمة أثارت مئات مـن علامـات الاستفهام حول ذلك الأمر الهام " الذي سيضع حدا لكل هذا " وتنتويه الأميرة.. حتى أن دار "وليام هيل" للمراهنات راحت تجمع الأموال من المراهنين.. وهي تضع أمامهم خيـارات مختلفة حول ما سوف تعلنه الأميرة.. وكانـت هنـاك عـدة احتمالات.. فإما أن الأميرة سوف تهاجر خارج بريطانيا .. وإما أنها سوف تتزوج.. وإما إنها سوف تتحول إلى الرهبنة.

الواقع أن حياة ديانا بالفعل كانت في حاجة إلـى أن تضع حدا فاصلاً.. كان يجب أن تقف.. لا يمكـن أن تبقـى هكذا إلى الأبد في هذه الطاحونـة التـي لا تتوقـف عـن

الصراع مع العائلة المالكة والصحافة.. لقد بدت وكأنها أُرهقت- أُنهكت للدقة – من كل هذا الذي يحدث.. انهارت بجسدها الرقيق، وروحها الأشد رقة من ١٦عاما بدأت حين تزوجت الأمير تشارلز في حفل أسطوري شهده كل العالم أمام شاشات التليفزيون.

إن هذه الأعوام الستة عشر تبدو أمامنا الآن وكأنها مضت بنفس سرعة السيارة التي ماتت فيها ديانا.. ولكن المؤكد أنها كانت سنوات بطيئة بطء السلحفاة.. ثقيلة ثقل القطار.. على قلب الأميرة.. وقد بدت هي في أيامها الأخيرة، وقبل أن تعلن عن بيانها الذي لم يعلن عنه أبدا.. لكن الموت سبقه.. بدت وكأنها تريد أن تتخلص من كل هذا.. العبء والهم والضغط والألم.

وقد راجعت من جانبي كافة حوارات ديانا الأخيرة كي أستشرف الحالة التي كانت عليها.. الحالة التي يمكن أن تكون دافعا لها كي ترتمي في أحضان عماد الفايد.. الحالة التي تجعل منه خيارها الأخير.. وليس الرهينة أو الهجرة.. كما كانت توقعات المراهنات.

وقد وجدت في حوارها مع شبكة "بي. بـي. سـي" أفضل وأهم تعبير عن هذه الحالة.. فهو حوار يلخص حياتها ويوحي بأفكارها حول المستقبل.. ويعبر بوضوح عن حالـة "العناد" التي التبستها، وعن حالة الكراهية التي تكنها للنظـام الملكي وللأسرة المالكة، وعن حالة الرغبة في التخلص مـن كل هذا.

لقد سئلت في البداية سؤالاً عاد بنا إلى البداية.. بداية كل ذلك: "هل شعرت بالخوف من مسئولياتك الجديدة حـين تزوجت.. هل خفت من مستقبلك كملكة؟" ولقد قالت مجيبـة: "لا.. لم أخف.. واعتبرت هذا تحديا.. لكـن الصـحافة لـم ترحمني.. لا أنا ولا تشارلز.. ثم اقتصر موقـف الصـحافة على وحدي.. عندئذ شعرت بالخوف "

هذه الصحافة هي التي كتبت بعد أن اكتشفت الأميرة خيانة الأمير أنها تعاني من مرض نفسي.. وأنها تؤلم نفسها بالجروح.. وقد اعترفت ديانا بهذا فعلاً.. " كنت أفعـل هـذا طالبة النجدة، كنت أريد أن أحصل على بعـض الاهتمـام.. كنت أجرح ساقي وذراعي.. كي أستطيع إذا اهتم أحد بي أن أقوم بدوري كزوجة وكأم"

لقد اكتشفت ديانا في عام ١٩٨٦ أن زوجهـا كـان يخونها مع هذه السيدة الشمطاء كاميلا بـاركر.. لكنهـا لـم تستطع أن تفعل شيئًا.. وقد اكتشفت هذا بغريزتها... غريزة المرأة.. الغريزة التي لا تكذب أبدا.. وأدركت وقتها أن مـا يحدث بين كاميلا وزوجها ليس علاقة.. بل حب مجنـون.. وفيما بعد قالت أن هذه العلاقة هي سـبب انهيـار زواجهـا "الزواج لا يحتمل سوى فردين رجل وامرأة.. ويسـتحيل أن يستمر إذا كان لثلاثة "

كانت تريد أن تصرخ، كانت تريـد أن يشـاركها الناس ما يحدث.. ومن هنا أوحت لأحد الكتاب بـأن يؤلـف كتابا عنها.. كي تتحسن صورتها.. وكي تكـذب الشـائعات التي تقول أن الأميرة تتصرف بغرابة لأنها مجنونـة.. "أنـا إنسانة قوية جدا، وأعلم أن قوتي تسبب مشاكل في المحـيط الذي أعيش فيه "

هذا المحيط الذي تقصده ديانا هو القصـر الملكـي وأفراده، الذي بلغت كراهيته لها وكراهيتها له حـد تـدبير الحملات الصحفية الهادفة إلى إبعاد مشـاعر النـاس عـن الأميرة.. التي صار لقبها فـي الشـارع "ملكـة القلـوب"..

وخاصة أنها رغم الفضائح تقوم بأعمال عديدة تلفت الأنظار بعيدا عما يقوم به مطلقها الأمير تشارلز.

ومن هنا فهي تعتقد أن الأسرة المالكـة هـي التـي دبرت الحملة التي أذيعت فيها المكالمات التليفونية مع شخص اسمه "جيمس جيلبي"، بل ووصل الأمر حد ادعاء أنها كانت تعاكس شخصا اسمه "أوليفر هود"، ثم بلغ السيل الزبى حـين استغل عشيقها "جميس هويت" كل هذه الأجواء ونشر قصتها معه في كتاب.

ولكن لماذا يدبر القصر ضدك هذه الحملـة؟ هكـذا سألتها شبكة "بي. بي. سي" وقد أجابت: "لأنني أمثـل لهـم مشكلة، لأنني لا أصمت على ما يفعلون.. وسـوف أناضـل ضدهم حتى النهاية.. إنني أريد أن أكون ملكة لقلوب النـاس وأعلم أن هناك كثيرين لا يرغبون في أن أصـبح ملكـة.. كثيرين داخل العائلة المالكة.. لأنني أتصرف من قلبي وليس من عقلي.. لأني لا أتبع القواعد المفروضة علـيهم.. إنهـم يرون في تهديدا لهم بسبب قوتي "

هذه هي الأميرة التي ذهبت إلى عماد الفايد.

ولكن عماد لم يكن مثل أي شـخص آخـر عرفتـه الأميرة.. ليس كأي بطل قصة عابرة سوف تمـر بعـد أن تعصرها الصحافة عصرا.. ليس حدوته ناقصة.. إنه حكايـة كاملة.. مليئة بالأوصاف والخيالات.. إنه ابن محمـد الفايـد أولا.. إنه ابن الأسطورة التي لم تزل بريطانيا تحاربها.. إنه مصري من رعايا دولة كانت تستعمرها بريطانيا حين كانت لا تغرب عنها الشمس.. إنه مسلم.. وهذه وحـدها مصـيبة كافية كي لا تمر القصة ببساطة.

وفوق كل هذا فإنه لم يكن عاشقًا من نـوع خـاص. وإنما هو بطل بدا للجميع وكأنه يتجه إلى ما هو أبعد من هذا في حياة الأميرة. إنه يريد أن يغير صفته في أيامها المقبلة.. لا يريد أن يبقى فقط "صديقًا في صحبة صيف".. إنـه فيمـا يبدو يريد أن يتزوج.. وفيما يبدو أيضا فإن الأميرة سـوف تستجيب لهذا. وإلا فما معنى هذا الذي سوف تعلنـه خـلال أسبوعين وتقول عنه أنه "سوف يضع حدا لكل هذا ".

وليس بعيدا على صحافة التقطت صورا لأحضـان وقبلات بين عماد والأميرة أن تلتقط مثل هـذه المؤشـرات. وليس بعيدا على أجهزة ترصد كل صغيرة وكبيرة في حيـاة

ديانا – لأنها أم الملك القادم- أن تعـرف أن هنـاك أمـرا مصيريا سوف يتم.. لاسـيما أن العجلـة درات بسـرعة.. ولاسيما أن الأطراف ليست بعيدة عن العيون.. ولاسـيما أن العواطف الصادقة لا يمكن أن تخفيها أية أقنعة.. مهما كـان سمك أي قناع.

ولقد فُضحت العواطف الصادقة ديانا وعماد.

رأوهما معا يذهبان إلى عرافة في جنوب لندن، فـي طائرة هليكوبتر، ثم يخرجان من بيت العرافة يبتسمان.

ونقلوا عن أبيه محمد الفايـد أنـه يعلـم بعلاقتهـا ويباركها.

ومن المؤكد أنهم عرفوا قصة الخاتم الذي طلب عماد الفايد من أحد كبار تجار المجوهرات في لنـدن صـناعته، بشكل فخيم، وغير مسبوق، وبتكلفة تصل إلـى ٢٢٠ ألـف دولار.. إن هذا الخاتم الذي كُشفت قصته بعد الموت وقيل أن عماد أعطاه لديانا في فندق "ريتز" قبل أن يركبا المرسـيدس الملعونة لا يمكن أن يكون هدية عادية.. بل هو كمـا قالـت بعض التحليلات خاتم خطبة.. خاصة أن عماد صممه بنفسه. وطلب من صانعه أن يكتب عليه جملة مليئة بالرجاء.. مـن

ثلاث كلمات إنجليزية هي: "Please say yes " وهي جملة معناها واضح: "أرجوكِ.. قولي نعم ".

وقد ذهب هذا الخاتم أخيرا مع بقية متعلقات الأميرة إلى أختها.

من المؤكد أيضا أن العيـون – عيـون الصـحافة والأجهزة - رصدت هذه الجلسة العائلية التي جمعت ديانـا مع بعض أعضاء أسرة الفايد قبل الحادث بساعات ، حيـث تناولوا القهوة مع قطع الكرواسون.. لقد بدت الجلسة وكأنهـا جلسة تعارف.

وفيما بعد قالت " جمانة " أخت عماد من أمـه، أنـه أخبرها بأن علاقته مع ديانا جدية، وأنه يريد أن يتم التعارف بينهما، وأنها – أي جمانة – كانت تتطلع لمثل هذا اللقاء.

بل إن حسن ياسين أحد أقارب عماد الفايد ألقى بقنبلة بعد موته حين صرح لجريدة الهير الدتريبيون الأمريكية بـأن عماد أخبره بأنه سوف يتزوجها " لقد قال لي هذا قبل الحادث بيوم واحد، وكنا في غاية السعادة من أجله – وشعرت أنـه وجد نفسه فيها.. وأنها وجدت نفسها فيه ".

وفي نفس الجريدة قال مايكل كول المتحـدث باسـم عائلة الفايد: "لقد أمضى معها عطلة جميلة. وتناولـت مـع عائلته الإفطار.. وهي لم تشعر بمثل هذه الألفة العائلية مـن قبل أبدا.. وكان عماد يحب الأميرة.. وهي تعشق صحبته "

إن الحب تفضحه عيونه. فما بالنـا بـأميرة وابـن ملياردير تتابعهما كل الأنظار وهما مقبلان على مثـل هـذا الأمر.. الزواج.

ولكن ما هي المشكلة.. هو أعزب.. وهي مطلقـة.. فليتزوجا؟

واقع الأمر أن هناك مصيبة، وليست مشكلة فحسب.. لأنه لا يمكن تجريد الاثنين في هاتين الصفتين فقط. لا يمكن التعامل معهما على أنهما شخصان عاديان... وزواجهما أمر خطير بمقاييس الدولة والمجتمع في بريطانيا.. التي إذا قبلت أن يتم زواج ديانا من أي شخص بريطاني، فإنها لا يمكن أن تقبل أبدا زواج شخص بمواصفات عماد منها.

لماذا؟

لأسباب كثيرة.

فالأميرة في البروتوكول الملكي ليست مطلقة الأمير تشارلز ولي العهد.. وإنما هي أم ابنه الأمير ويليام.. ويليام ذلك الفتى المراهق الذي يشغل بال من هن في نفس سنه في بريطانيا شخصية هامة جدا.. يبدو وكأنـه سـيكون الملـك القادم.. لأنه من المتوقع أن يتنازل أبوه عن العـرش لـه... ومن هنا فإن هناك خطورة حقيقية على العـرش مـن هـذا الزوج.. لأن الزواج بين ديانا وعماد قد يؤدي إلى الإنجاب. وهي إذا أنجبت من الممكن أن تخلق مشكلة أن يكون شقيق الملك القادم مسلما.. وهذا غير مقبول هناك. ليس فقـط لأن هذا مثير للجدل في مجتمع مسيحي.. ولكن أيضا لأن الملـك بحكم موقعه هو راعي الكنيسة في بريطانيا.. والكنيسة سلطة هامة وقوية وأساسية في الدولة.

ولكي نعرف أهمية هذا فإننا نشير إلى أن اللقب الذي يطلق على ملك بريطانيا لقب لا يقتصر على الصفة السياسية وإنما على الصفة الدينية.. فهو "ملـك بريطانيـا العظمـى وأيرلندا الشمالية والكومنولث وحامي الإيمان".. فكيف يكون حامي الإيمان المسيحي له شقيق مسلم؟

ولقد عبرت إحدى الصحف البريطانيـة عـن هـذا المعنى حين دللت ساخرة على مخاطر هذا الـزواج وهـي تقول: "إن هذا الزواج سوف يؤدي إلى ميلاد طفلة اسـمها كليوباترا، وطفل اسمه محمد"

وفيما بعد الحادث، وفي مصر، قالها بوضوح الكاتب أنيس منصور.. وهو يحلل أبعاد موت الاثنين فـي عمـوده اليومي بالأهرام: "اغتالها المخـابرات البريطانيـة.. إنقـاذًا للعرش. فلم يحدث أن استطاع إنسـان أن يزلـزل عـرش الأسرة المالكة كما فعلت ديانا.. لقد أقسمت الأميرة الجميلة أن تهدم الأسرة المالكة على أدمغة ولي العهد وأمه وأبيـه.. ولقد قالت أكثر من مرة على و علّى أعدائي.. وانتقلت مـن فضيحة إلى فضيحة.. وحاولت إثارة شفقة النـاس.. ولكـن حين انتقلت إلى الزواج من مسلم يأتي لها بولد اسمه محمـد وبنت اسمها فاطمة، ويكون الولد المسلم أخًا لملك بريطانيـا راعى الكنيسة.. كان لابد من حل.. وجاء الحل بالقضاء على الأميرة وعريسها.. وبذلك انتهى مسلسل الرعـب للأسـرة المالكة البريطانية "

إني أميل إلى هذا التحليل.

ولكن هذا التحليل يطرح سؤالاً: ألم يكن من الممكن توجيه تحذير للأميرة.. بدلاً من قتلها؟

واقع الأمر أن الأميرة ليست من النوع الذي يمكـن أن يقبل هذا التحذير.. بل إن عنادها يمكن أن يدفعها إلى ما هو غير متوقع.. وقد قالت قبل أن تموت: "سـوف أناضـل ضد هذه العائلة حتى النهاية " وقد أسرعوا بهذه النهاية حتى لا تناضل الأميرة ضدهم طويلاً.

وواقع الأمر أيضا أن الأميرة قد تلقت هذا التحـذير، على الأقل علنًا، والذي يراجع ملف الصحافة البريطانية قبل الحادث، وفيما بعد كشف، بداية العلاقة بين عمـاد ودياًنـا، يتأكد من هذا.. ويدرك حجم التعامل العنصري الذي قوبلـت به القصة.. ليس فقط من الصحف الشـعبية التـي تخاطـب الغرائز وإنما أيضا من الصحف الرصينة ومن هذه الجرائـد التي عرفت بقربها من توجهات القصر الملكي.. وهـو مـا يعني أن التحذير قد وصل فعلاً.. ولكن الأميرة لم تستجب.. فكان القرار .. القاتل.

ولقد بدأت الصحف البريطانية فـي التعبيـر عـن مؤشرات الحملة القادمة، بعد العلاقة، من اليـوم الأول.. إذ

دخلت كلها سباقًا محموما حـول مجموعـة مـن الصـور المهزوزة التي التقطها المصور الصحفي الإيطـالي مـاريو برنيا من خلال عدسة تليسكوبية، فوصل التنافس إلـى حـد بلوغ الصور سعرا غير متوقع.. ثلاثة ملايين دولار بالتمام والكمال.. دفعت منها الصحف البريطانية وحدها مليون جنيه استرليني.. أي ما يفوق ثلثي سعر الصـور.. وقـد علقـت جريدة التايمز على هذا حين قالـت: " إن المزايـدة علـى الصور بلغت حدا مسعورا حينما اتضـح أن الرجـل الـذي تحتضنه الأميرة في صورة، وتدفن رأسها في صـدره فـي أخرى، وتلف ساقيها العاريتين حوله في ثالثـه.. عربـي.. مصري الأب.. سعودي الأم.."

ويقول الدكتور صبري حافظ الناقد الأدبي المعروف في تحليله لما قامت به الصحف البريطانية في هذه الأيـام: "لقد أتاحت هذه القصة للصحف الفرصة كـي تـنفس عـن التعالي العنصري على أبناء البلدان التي سـبق أن احتلتهـا بريطانيا.. ولا يوازي هذا التعالي العنصري الـدفين علـى الأجانب إلا التمايز الطبقى الحاد في المجتمع البريطاني الذي لا يستطيع أن يغفر لمحمد الفايد أصله الطبقـي المتواضـع

بالرغم من أن ثروته الحالية تفوق ثـورة الملكـة إليزابيـث ذاتها.."

ومضى يقول: " إن مغامرة ديانا وعماد الفايد كانـت تنطوي على توليفة مثيرة، تدخل فيها ترسبات التاريخ القديم بين الثقافتين العربية والأوربية، والتي تعود لأكثر من تسعة قرون، منذ الحروب الصليبية وحتى الآن، وتستثير وقائعهـا كل الأساطير الاستشراقية عن شـهوانية الشـرق وحسـيته وأساطير الجنس والفحولة الشرقية، والمرأة البيضـاء التـي ينتهك بياضها الناصع كالجليد الرجل الشرقي الأسمر.. حتى أن التايمز علقت على الصورة التي تحتضن فيها ديانا عماد بقولها: "إنها تحتضن كتلة من الرجولة العربية"

وفي البداية قالت الصحف الجادة معلقة على الأجازة التي قضتها ديانا مع ولديها ويليام وهاري في يخـت أسـرة الفايد على شاطئ الريفيرا الفرنسي بأنها "أجازة غير مسئولة" ، "غير حيكمة" .. ومثيرة للجدل والأقاويل.. خاصـة لأنهـا اصطحبت الصغيرين معها. والمثير للسخط أكثر أن الأميـر ويليام- الملك المرتقب أحب عماد، وقال أنه أول معـارف أمي الذي يعرف شخصيا كل نجومي المفضلين.

لكن الصنداي تليجراف مضت في اتجاه آخر، بـدا وكأنه يدس السم في العسل، حين هونت من أمر عماد الفايد، وأوحت أن الأميرة لم تجد أمامها غيره.. "هذه العلاقة ليست إلا سحابة صيف، تمت بسبب الصيف، وفـراغ لنـدن مـن الرفقة المناسبة لأمثال الأميرة التي وجدت نفسها وحيدة، ولا يتوقع منها أحد أن تجلس طوال اليوم في قصر كينجرتـون تشاهد أشرطة الفيديو.. ومن هنا فقد اقتنصت أسـرة الفايـد الفرصة وقدمت لها الدعوة.. ومجرد مغامرة عاطفيـة فـي الصيف ليست جريمة.. فكل امرأة إنجليزية تفعل هذا بالطبع شريطة ألا يتجاوز الأمر هذه الحدود "

إن الصحيفة إذن وجهـت التحـذير: " شـريطة ألا يتجاوز الأمر هذه الحدود ومعنى الرسالة واضح، خاصة أن المقال نفسه مضى بعد هـذا التحـذير قـائلاً: " إن الرجـل الرئيسي في حياة ديانا يجب أن يكون الأمير ويليام.. ولـيس من حقها أن تضره، أو ترتبط بأناس لهم نشيد وطني غيـر مجموعة من نغمات الانتقام المتنافرة ".

والمعنى واضح، فعماد الفايد ليس له نشيد وطني .. أي بلا هوية.. منتهى التجاهل لحضارة عريقة ينتمـي لهـا

الشاب الذي كانت تهاجمه الصحافة كل يوم في هذه الأثناء.. هو وأباه.

واستمرت حملـة الهجـوم علـى عمـاد وعلاقتـه بالأميرة.. وقالت صحيفة "سكوتسمان": "ما الذي يعجب ديانا في آل الفايد، رغم اللغط المثار على محمـد الفايـد والـذي تمرغ في أوحاله في الفترة الأخيرة، ورغم أنه لم يزل يحاول أن يصبح مقبولاً في بريطانيا ".

وتفضح كاتبة إنجليزية كل أفكار العنصـرية وهـي تعلق قائلة: "إن ديانا سرعان ما سوف تكتشف أنها اسـتبدلت سجن حياة العائلة الملكية بسجن أشبع هو السـجن العربـي" وفي نفس السياق تسخر صحيفة "الصانداي تايمز" من كـل هذا وتقول: "هل سترتدي ديانا الحجـاب قريبـا؟ " وتسـأل صحيفة سكوتسمان: "ألا تستطيع ديانا أن تجد رجلاً إنجليزيا محترما؟.. إن السر وراء هذا هو إخفاقها في تقدير كل القيم والممارسات التي تتميز بها الأرستقراطية الإنجليزية، وفشلها في احتضان معاييرها الثقافية، وهذا ما يجعلها تتدنى دائمـا في اختيار رجاله على هذا الحضيض ".

وحتى هذه اللحظة كان عمـاد فـي رأي الصـحف البريطانية إذن هو رجل من الحضيض.. بلا هوية .. غيـر مقبول.. أجنبي.. أسمر.. سوف يضع ديانا في سجن.. غير محترم..

هذه هي الخلاصة، وكما يقول صبري حافظ فإن كل هذه الأوصاف لم تطلق أبدا على عشاق ديانا السابقين.. " لقد أدت علاقتها مع ديل كالرنج من قبل إلـى تـدمير زيجتـه وطلاقه، وقد دفعت علاقتها مع إنجليزي آخر هـو جـيمس جيلبي إلى انتحاره، وفي مرة أخرى نشر مـدرب الخيـول جيمس هوايت كتابا يحكي عن تأوهاتها معه فـي الفـراش، وعرفت أيضا رجلاً متزوجا آخر هو أوليفر هور.. كل هذه الأسئلة التي طرحتها الصحافة البريطانية لم تطرح من قبـل في كل تلك الحالات ".

وربما تكون الكاتبة العاطفية الشهيرة باربرا كارتلاند زوجة جد ديانا قد عبرت عن كل هذا حين كتبت تقـول: "إن ثراء أسرة الفايد وكرمها الزائد، زودا ديانا بالأمن والرعاية اللذين افتقدتهما لدى أسرة وندسور الملكية.. ولكن اعتراضي الوحيد على هذه العلاقة هو أن عماد أجنبي ".

ثم أخذت الحملة منحى آخر..

أخذت اتجاها هدفه تشويه صـورة عمـاد نفسـه.. والتأكيد على أنه رجل سيء.. تاريخه بالفضائح.. ينفق النقود ببذخ.. له مغامرات عاطفية عديدة ومتنوعة..

ولقد بلغت شدة الرغبة الصـحفية فـي خلـق هـذه الصورة حد أن جريدة "صـن" دفعـت ٢٠٠ ألـف جنيـه استرليني بالاشتراك مع صـحيفة "نيـوز أوف ذا ورلـد " لعارضة أزياء أمريكية اسمها كيلي فيشر كان عماد قد أقـام معها علاقة، مقابل أن تدلي بتفاصيل هذه العلاقة للصحفيين..

ومضت كيلي فيشر تقدم للصحفي ما تريده: "إنه ليس عاشقًا بارعا "

"إنه لا يعرف كيف يمتع المرأة " " إنه ليس فارسـا في مضمار العشاق ".

" كنا ننوي الزواج لكنه هجرني من أجـل ديانـا ". "علاقتنا لم تكن قائمة على الجنس"."كان يمطرنـي بالهـدايا والمجوهرات"

وبجانب هذه الكلمـات نشـرت الصـحف صـورا للعارضة الأمريكية وهي بجانب أمها تجلـس تنتحـب فـي

مؤتمر صحفي.. وفيما بعد قالت أنها شعرت بالنـدم علـى الطريقة التي تمت بها إدارة الأمر.

لكن الصحف لم تقف عند هذا الحد، وجاءت بماضي عماد الفايد مع فتيات أخريات، مـنهن الممثلـة الأمريكيـة تيربي ليند التي قالت: "لقد أنهى العلاقة بيننا بمسدس".

أما مربط الفرس في كل هذه الحملة، وهـو محمـد الفايد فكان له نصيب لا بأس به.. إذ لم تتوقف الصحف عن أن تضع له دورا دائما في كل هذا.. وكانت هي التي تفسـر دوما الموقف بمنطق المؤامرة.. وتؤكد على أن كل هذا مـن تخطيط الأب، الذي يريد أن يجد له مكانًا يضغط من خلالـه للدخول في قلب المجتمع البريطاني الذي لفظه حتـى الآن. وفي هذا السياق قالت صحيفة " التايمز": "لابد أن الفايد الأب يبتسم الآن ابتسامة واسعة من الأذن للأذن لأن ابنه اسـتطاع الإيقاع بأم ملك المستقبل"

أضافت التايمز:"هل يأمل محمد الفايد أن يكون تتويج ويليام ملكًا، له بعد سكندري نتيجة لوجود إخوة الملك غيـر الأشقاء من ذوي العيون السود محمـد وكليوبـاترا.. أبنـاء

دودوي وديانا؟ وهل سيكون الجد العجوز – الخاطبة- هناك بنفسه يفرك يديه جذلاً وانتصارا"

على خلاف ذلك فإن صـحيفة الجارديـان كانـت الاستثناء من كل هذا، حين بررت العلاقة بين عماد و ديانـا قائلة: "إن العلاقة بين الفايد وإيرك سبنسـر والـد الأميـرة الراحل كانت وثيقة جدا، وقد أوصى سبنسر قبل موته صديقه الفايد برعاية أسرته.. وهو الأمر الذي دفع محمد الفايـد لأن يعين زوجته ضمن مجلس إدارة هارودز "

غير أن مثل هذا الكلام كان نقطة في بحر العنصرية وحملات تحذير ديانا مما تفعل. هنا نعود مرة أخـرى إلـى التايمز التي قالت: "سوف تكون نتيجة هذا الـزواج إسـباغ مكانة إجتماعية على أسرة محمد الفايد فورا وسوف يصـبح على أفراد المؤسسة التعامل معه باعتباره من الدخلاء عليها، ناهيك عن أنه من غير المقبولين منها.. وهذه المكانـة قـد تتيح له فرصة الانتقام ممن أساءوا معاملته من قبل"

وبالإجمال، وفي نهاية هذا الجانب من القصة فـإنني أستعين هنا بتحليل كتبه الدكتور إدوارد سعيد أسـتاذ الأدب الإنجليزي قبل الحادث، وهو يرصد مـا تكتبـه الصـحافة

البريطانية حول هذه العلاقة.. "الغريب أن هـذا يـأتي مـن مجتمع يفاخر بقيمه المتحضرة، ويحتقر غير الأوربيين لمـا يراه لديهم من فجاجة وافتقار إلى الرقي " إن جريمة الفايـد الأب هنا هي أنه أقدر على ممارسة لعبة السلطة والنفوذ مما يستوجب لشخص أن يقال عنه في بريطانيا أنـه " جنتلمـان شرقي وقور" وهو تعبير مليء بالسخرية.. وجريمة الابن أنه مغامر عاطفي مصري.. أي من تلك الفئة التي تثيـر لـدى البريطانيين العاديين مزيجا من مشاعر التهديد والانجـذاب.. فمن المحرم على شخص كهذا لمس بشرة ديانـا البيضـاء الناعمة ". " ولقد تحول كل هـذا الهـزر الاجتمـاعي إلـى العنصرية، وأحد أنواع التلمظ الجنسي الذي يصـور الأمـر على أنه علاقة بين شيخ شرقي شـبق وعـذراء بريطانيـة منتهكة "

لقد كانت الصحف إذن تدق الأجراس في أذن ديانـا والفايد؟

كانت تعلن التحذير، وكانت توحي بـأن المجتمـع الذي قبل حصول الفايد الأب على برج إيفـل البريطـاني..

محلات هارودز.. لن يقبل أبدا أن يأخذ أيضا أحد أهم رموز المجتمع.. الأميرة ديانا.

وتحولت التحذيرات إلى حملة هيسـتيرية.. صـراخ فاق حد التغطية الصحفية العادية أو حتى المتلاحقة.. وكـان معنى هذه الحملة أنها تتضمن رسـائل واضـحة للاثنـين: توقفا.. على عماد وديانا أن يتراجعا.. هناك منطقة خطرة لا يجوز الاقتراب منها أبدا.. إن ما سوف يتم.. أي الزواج.. لا يمكن السماح بحدوثه أبدا.

لقد كانت علاقة محكوما عليها بالموت. إنـه الحكـم الواضح الذي تضمنه ذلك الجناس اللفظي الذي قـدمت بـه جريدة "صن" القصة في البداية: "دودي يستحق الموت مـن أجله "

وقد مات عماد. ووجهت الدولة أقوى لطماتها إلـى محمد الفايد.. وبنفس الطريقة التي تم بها شحن الناس وتمهيد الأرض، والرأي العام للحدث القادم، كانت أيضـا الطريقـة التي قدمت لتفسير حادث المـوت. فالصـحافة هـي التـي هاجمت.. والصحافة هي التي رفضت.. والصحافة هي التي قتلت..

إنني هنا لن أتعرض لكل هـذه الملابسـات التـي اكتنفت هذا الحادث.. والذي أرى أنه كان مدبرا إلـى حـد كبير. لن أتعرض لدور مصوري الصحف الشعبية، أو كلاب الصيد التي تطارد الفريسة من المشاهير فـي كـل لحظـة وحين.. لن أناقش نقطة السائق المخمور، والذي شككت أسرة الفايد في نتائج تحليل دمائه.. ولن أتعرض لقصـة السـيارة المرسيدس التي دافعت عنها الشركة المنتجة، وقالت أنه ليس لها دور في الحادث.. ذلك أنه حتى كتابة هذه السـطور لـم يكن التحقيق في الحادث قد انتهى.

غير أني بعد أن قدمت كل هذه التفاصيل التي تؤكـد أن المجتمع البريطاني لم يكن ليقبل أن تمضي هذه العلاقـة إلى نهايتها.. أتساءل: أين كان محمد الفايد؟

إن رجلاً بكل هذا التاريخ.. بكل هذه التجارب.. بكل هذا الرصيد من المعارك.. بكل هذه الخبـرة فـي أعمـاق المجتمع البريطاني.. بكل هذه العلاقة الوثيقة مـع القصـر الملكي.. رجلاً بهذه المواصفات لابد أنه كانت لديه توقعـات عن طبيعة نوع رد الفعل الذي يمكن أن تسببه هذه العلاقة.

فهل ضحى محمد الفايد بابنه؟

هل بخل عليه بالنصيحة؟!

هل قرر أن يخوض معه المغامرة حتى النهاية؟

هل استدعى من داخله صفة المقامر الذي يريـد أن يكسب بأي صورة؟

هل أراد فعلاً أن تكون هذه العلاقة واحدة من أوراق اللعب؟

أم أن ذكاءه تخلى عنه في هذه المرة؟

أو ربما كانت عاطفة عماد وديانـا أقـوى مـن أي اعتراض؟

إنها أسئلة هامة وضرورية في نهاية هـذا الفصـل الذي ينتهي به الكتاب.. خاصة أن عماد يمثل لأبيه – مثـل أي أب- رصيدا هاما وضروريا في الحياة... أهم من أوراق الجنسية البريطانية.. بل وأهم من هارودز نفسه..

ولعلنا نستبعد السؤالين الأخيرين في بحثنا عن إجابة لعلامات الاستفهام العديدة في هذه القصة.. خاصـة أن الأب أعلن أنه " يبارك هذه العلاقة "

فهل حول الفايد الأب ابنه إلى واحدة مـن جـولات معاركه العديدة؟.. أم أننا شديدي القسوة إذا استسـلمنا لهـذا التحليل؟

٨

بعد الفصل الأخير

• إلى أي وطن ينتمي محمد الفايد؟

هل يمكن أن تتكرر حالة محمد الفايد؟
هل يمكن أن نرى شخصا آخر من مصـر بنفس الحجم والنفوذ والثراء والقوة والشهرة والموقع والضجيج والجدل و... كل صفات أفعل التفضيل الأخرى؟
والإجابة.. هي: ربما

هل يمكن أن تتكرر حالة محمد الفايد؟

ولكن لماذا نسأل هذا السؤال.. لماذا لا نعيد صياغته بشكل آخر.. هو: هل نحن في حاجة إلى نموذج محمد الفايد؟

هل مصر تريد هذا النـوع مـن رجـال الأعمـال الأثرياء؟

والإجابة هنا لن تكـون تقريريـة. وإنمـا سـتكون استفهاما طويلاً، استفهام يسأل عن علاقة الفايد بمصر. يسأل عن وطن محمد الفايد. هل وطنه هو ذلك البلد الذي لم يزره منذ أكثر من ١٥ عاما؟ هل وطنه هو على طريقـة جحـا.. فنلندا التي تزوج إحدى نسائها في عام ١٩٧٨ وأنجب منهـا أربعة أطفال. أم أن وطنه هو السعودية التي تزوج من إحدى بناتها عام١٩٥٤ حين اقترن بسميرة خاشقجي أخت عـدنان خاشقجي. أم أن وطن هذا الرجل هو بريطانيا التـي يسـعى حثيثًا للحصول على جنسيتها منذ سنوات، ولم يحصل عليهـا بعد.. أم وطنه هو المكان الذي توجد به أمواله.. وبالتالي فإن بلده هي ثروته.. ونشيده القومي هو رنين النقـود. وعلمـه الذي يرتفع على السرى هو الجنيه الإسترليني.

والإجابة عن هذا الاستفهام الطويل هي التي سوف تقودنا للإجابة على السؤال السابق على الاستفهام..

وهو: هل نحن في حاجة إلى نموذج محمد الفايد؟

وسوف يكون الرد هو النفي.

لماذا؟

لأن مصر لم تعرف من محمد الفايد وإخوته سوى الاسم. صحيح أنه وأشقاء ملأوا الدنيا ضجيجا حين تبرعوا لمصر بمجموعة من كراسي المعوقين وأجهزة غسيل الكُلى وبطاطين تدفئة ضحايا السيول.. لكن الوطن.. الأم.. لم يعرف من ثراء الفايد شيئًا آخر. لقد كان بخيلاً تماما على بلده الذي أنجبه رغم أنه من حين لآخر يتحدث عبر لسان المتحدث باسمه عن " إنه يعتز جدا بجنسيته وأصوله المصرية" ولم يقم مشروعا واحدا له قيمة هنا. ولم ينشئ شركة. ولم يوظف عاملاً. ومنذ هاجر من مصر، تاركًا خلفه شركة سياحة صغيرة يعمل بها بضعة أفراد، وحتى صار هو الرجل الذي يوظف ستة آلاف شخص من بريطانيا، لم نر منه أي شيء.

بل إنه حين مات ابنه عماد فضل أن يدفنه في مقابر المسلمين في جنوب لندن، وبرر هذا بقوله: " إنني أريده قريبا مِني". على الرغم من أن أخواته في مصر – السيدات – كن يحلمن بدفن الابن الضائع في الإسكندرية.

ووفقًا للتقاليد المصرية والمفاهيم الدينية التي تربى عليها المصريون فإن من المقبول لكل شخص أن يجري في كل مكان. أن يغترب. أن يعمل خارج بلده. أن يربح. أو يخسر. أن يكبر.. أو لا يحقق شيئًا.. لكنه في النهاية يجب أن يعود إلى بلاده.. خاصة إذا مات.. حيث لا يرغب أي مصري في أن تبقى جثته غريبة عن بلاده.

ولكن هل يعتبر عماد وهو مدفون في لندن غريبا عن بلاده؟

واقع الأمر.. هو ..لا.. لأن عماد تربى هناك.. وعاش هناك.. وأكل وشرب هناك.. بل إنه حتى حين اختلف مع أبيه قضى وقتًا بعيدا عنه في الولايات المتحدة وليس في الإسكندرية.. وتذكر فقط الجميع اسمه حين صارت جنسيته هي السبب في عدم إتمام علاقته مع الأميرة ديانا.. وأن دينه هو الذي عطل زواجه وأدى إلى قتله..و تذكر الجميع مجددا

أنه مصري، حين أرسل الرئيس حسني مبارك برقية عـزاء إلى محمد الفايد.. ثم زارته في لندن قرينة الـرئيس السـيدة سوزان مبارك وواسته في مصابه.

وليس من حقي أن أشكك في وطنية محمد الفايد.

وليس في يدي أن أسحب منه انتماءه الأصلي.

ولكني أتحدث هنا عن هذا الموضوع لأنني أظن أنه الوطن ليس شهادة ميلاد.. وليس بيتًا فخيما فـي العجمـي.. نزوة كل بضع سنوات.. وليس قصرا في فيكتوريا نفكر في بيعه.. الوطن انتماء.. والانتماء له مظاهر.. والمظاهر ليس فقط التحدث باللغة العربية..وإنما هي أبعد من ذلك بكثيـر.. هي إحسـاس.. ومشـاركة.. واقتـراب دائـم.. وأفكـار.. ومفاهيم.. وتقاليد.. وتضحية.. وتربية.. وذاكرة لا تُنسـى.. ولا تنكر الأصول والجذور.. وتعبير عن كل هذه الأحاسيس بطرق مختلفة.

هل يعني هذا أننا لا نوافق على نموذج محمد الفايد؟

الإجابة سأُبقيها معلقة.. معلقة في رقبة الاستنتاج.

إنني مع المغامرة. مع البحث عن فرصة جديدة.. مع أن تُثرى بلا حدود.. مع أن تترك بلدك – مؤقتًـا – دون أن

تنساه إلى الأبد.. مع أن تصبح رجلَ أعمال كبيرا بـدون أن تتجاوز القواعد الأخلاقية.. مع المعارك التي تسـتخدم فيهـا أسلحة نظيفة.. مع العناد.. ومع ألا ينسى أحد ثأره.

ولكن هل هذه الشروط يمكن أن تتوافر فـي رجـل أعمال يفرزه الزمن الحالي؟

بالطبع لا. وربما من المستحيل. فالأسواق لا مكـان فيها للأسماك الصغيرة.. والحيتان تأكل كل مـن يقـاوم ولا يرضخ لشروط النمو. والمعارك لا تستخدم فيها أبدا الأسلحة النظيفة – وقد استخدمت كل أنواع الأسلحة القذرة ضد محمد الفايد- والنمو له شروط معقدة والثراء لا يكون سهلاً علـى الإطلاق إذا التزم الراغب فيه بالأخلاق.

في هذا السياق فإنني أرصد أن كثيرا مـن نمـاذج رأسمالية الخارج لم تكن تلتزم بهذه المعايير الرومانسية التي نتحدث عنها الآن. وإذا نحينا جانبا هذه المعايير الرومانسـية فإنه لا يجوز بالتـالي الحـديث عـن الـوطن والأصـول والجذور.. وعن الجنسية الأم.. لأن أي رجل أعمال لو وجد فرصة في مكان آخر سوف يلتقطها فورا.

والأمثلة عديدة. وهذا ليس حديثًا معنيـا بـه الفايـد وحده.

ولكني في المقابل أرى أن النموذجا الأكثر قبولاً في هذا السياق.. في إطار الحديث عن النماذج المصـرية فـي الخارج لن يكون في كل الأحوال هـو رجـل الأعمـال.. الثري.. الذي يبحث في كل يوم عن ربح جديـد.. النمـوذج الذي أؤيده وأرحب به هو – للأسف – قاصر على أشخاص من خارج مجال الأعمال.. أغلبهم من العلمـاء.. وأبـرزهم أحمد زويل في الولايات المتحدة.. ومجـدي يعقـوب فـي بريطانيا.

والأول عالم جليل، له إنجازه العلمي المميز، والذي يقال إنه يستحق عنه جائزة نوبل في الفيزياء.. هو مهـاجر مصري قديم لم ينس أبدا وطنه.. ويزور مصر على الأقـل مرة كل سنة. ولا يبخل بعون أو نصيحة. بل لا يتأخر عـن حضور مؤتمر علمي بها.

وهو في كل الأحوال حين صار معروفًا في الخارج، صار موجودا أكثر من ذي قبل في الداخل.

نفس المواصفات تنطبق على مجدي يعقـوب. هـذا الطبيب المرموق الذي يحمل لقب "سير" في بريطانيا. وعلمه لا يقف عند حدود المواطنين الأجانب. ويأتي إلى مصر فـي أحيان كثيرة.. بل يجري جراحات مجانية بها.

إنه الفرق بين العالم ورجل الأعمال.

بين نموذج نحبه ونرضاه.. ونموذج كنا نتصـور أن لديه أفضل مما يقدمه.

عبد الله كمال

أكتوبر ١٩٩٧